

جودة التعليم مطلب شرعي

بحث مقدم لنيل الدكتوراه في مقاصد الشريعة

مقدمة الرسالة: وفاء عبد الباقي شريقي

المشرف: الدكتور عبد العزيز مرزوق

1430_1429 هجرية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إهداء

إلى كل من يحرص على الارتقاء إلى درجة الإحسان وقلبه يهفو إلى أن يقبله الله فيرتقي به أعالي الجنان .

إلى كل من يتحرى الإتقان في عمله ويستشعر عظم مسؤوليته

إلى كل من يتولى مهمة التربية والتعليم في عالمنا الإسلامي وفي أي موقع يساهم في تنشئة الجيل وتربية أفراد الأمة

أهدي بحشي المواضيع هذا ليكن إضاءة في طريق أمتنا وذكرى للسائر على الطريق وكله أمله أن تتسنى هذه الأمة

ذرى الريادة في عالم اليوم وقمة القيادة لأنها خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله

وفاء شريقي

شكر

باقات معطرة بالعرفان أهديتها :-

إلى والدي الحبيب الذي علمني الإتيان سمة تلازم كل الأعمال.

وإلى أُمي الغالية التي تحفني بدعائها في كل خطوة أخطوها لتحقيق الآمال.

وإلى رفيق دربي زوجي محمد غازي الدروبي الذي أمضى حياته في التعليم جودة وإتيان وفي تدريب المعلمين ومتابعتهم للوصول إلى خير تربية

وتنشئة للأجيال.

وإلى الأخت الحبيبة الدكتورة رفاء بن لادن التي اتخذت الجودة منهاجاً وبذلت كل ما في وسعها ولازلتها كي تراه واقعا

مشرقاً في مدارس البيان.

وإلى كل من استفدت منه خبرة وعلماً.

وإلى المعلمة سوسن فياض التي بذلت جهدها في طباعة البحث وإخراجه.

أسأل الله للجميع أطيب حياة وخير مآل

وفاء شريقي

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتدي، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله .

أما بعد، فإن الحديث عن الجودة والتنافس، الذي يظهر في جميع المجالات، للحصول على شهاداتها من الجهات التي تعتمد عليها، أصبح الشغل الشاغل للشركات والمؤسسات في هذه الآونة، وازداد الاهتمام بتحقيق الجودة في التعليم وتسابقت المؤسسات التعليمية، للحصول على شهادات الجودة، من المؤسسات المانحة لها . ومن خلال عملي سنوات طويلة في التربية والتعليم وفي المملكة العربية السعودية تبين لي أن أمر الجودة في التعليم مفهوم قد يتبناه قو ويعرض عنه آخرون وأن العوائق التي تقف في وجهه يسعى التربويون لإزالتها لتحقيق جودة التعليم على نحو يرقى بالأمة .

إننا معاشر المسلمين، أولى الناس بالاهتمام بأمر الجودة وتحقيقها، لأننا مأمورون في ديننا، بأن نجيد ونحسن في كل شأن من شؤوننا، بل في كل لحظة من لحظات حياتنا، إن ديننا قد ألزمتنا، بدليل جودة، لم يترك شاردة ولا واردة، في كل أحوال الفرد والجماعة، إلا وذكر كيف تؤدي بإحسان. وهل الإحسان إلا مرادف للجودة والتجويد، بل ويعني ما هو أرفع درجة منهما! لقد جاءت الدعوة في القرآن الكريم إلى الإحسان، بصيغ مختلفة في سبعة وثلاثين موضعاً.¹

ودليل الجودة الذي أنزله الله سبحانه وتعالى هو كتابه الكريم وكل من دعا الناس إلى التزام هدي القرآن فهو محسن

¹ - المعجم المفهرس ألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ط، 1418، ص 257

وينال ثمرة إحسانه فإن هداية الخلق وإرشادهم بالأمر والنهي هي من باب الإحسان إليهم، والمحسن من العباد يحتاج إلى إحسانه قال الله تعالى (لئن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها) وقال (من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها)².

وثمره هذا الإحسان، وعلو مرتبته مرتبطة بمقدار الجودة والإحسان، الذي كان عليه في أعماله وثلث عينه من سائر المشتريات وكما لها وبلوغها مرتبة الحسن والموافقة حسب كمال عمله ومتابعته فيه وإخلاصه وبلوغه مرتبة الإحسان فيه وبحسب تنوعه³. "والإحسان نهاية الإخلاص . والإخلاص هو إيقاع العمل على أكمل وجوهه في الظاهر والباطن . بحيث يكون قائماً به في الباطن والظاهر على أكمل الوجوه"⁴

إن المتأمل يلاحظ، أن نظام إدارة الجودة الشاملة، والتي يشمل المجالات المختلفة، وتركز مقاصده على تحقيق الجودة في الشركة أو المؤسسة ، لضمان إرضاء العميل،

² - ج/1، ص/308، ابن تيمية، جامع الرسائل، موقع الوراق، <http://www.alwarraq.com>

³ - 18/ ابن قيم الجوزية، اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، مصدر الكتاب : موقع الوراق

<http://www.alwarraq.com>

⁴ - 106/1 : محمد بن عبد الوهاب : حاشية الأصول الثلاثة، حاشية عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الحنبلي النجدي، الطبعة : الأولى

،الناشر : وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، 1416 همصدر الكتاب : موقع الإسلام،

<http://www.al-islam.com>

أما نحن أمة الإسلام فمطالبون بتحقيق الجودة من أجل مرضاة الله تعالى، لأننا إنما خلقنا لهدف عظيم، نسعى إليه
ألا وهو عمارة هذه الأرض بمنهج الله تعالى، وبالتالي تجويد المنتج، ولكن ليس إرضاءً للعميل كغاية- وإن كان لا
بأس في ذلك لأن المسلم عليه أن يتعامل مع عامة الناس خير تعامل فكيف بالعميل أو الزبون- بل رضاه يأتي بعد
تحقيق رضا رب العزة والجلال، ولذا كان من الأهمية بمكان بيان وإيضاح الأسس التي يتبناها الإسلام كمنهج حياة،
وفي مضمونها تحقيق قمة الجودة في سائر المجالات وخاصة في التعليم.

إن من الضروري عند الحديث عن جودة التعليم، التنبيه على قضية أساسية قد يغفل عنها الكثيرون، ألا وهي أن
جودة التعليم، من أهم الوسائل، لتحقيق مقاصد الشريعة، فهي في مرتبة الضروريات، وليست من التحسينات أو
المكملات، لأن بها يمان الدين من الانحرافات، والزيف والابتداع، وبها يتم حفظ العقل، والعرض والنفس والمال
، ويعرف الحلال من الحرام، والشرائع المنظمة لكافة أمور الفرد والمجتمع، وهي وسيلة دار الآخرة وسعادتها
وذريعة إلى القرب من الله تعالى ولا يتوصل إليه إلا بها .

" وأعظم الأشياء رتبة في حق آدمي السعادة الأبدية وأفضل الأشياء ما هو وسيلة إليها ولن يتوصل إليها إلا
بالعلم والعمل ولا يتوصل إلى العمل إلا بالعلم بكيفية العمل، فأصل السعادة في الدنيا والآخرة هو العلم فهو إذن

وأما عن فضيلة التعليم والتعلم فمما لامرأء فيه، "فإن العلم إذا كان أفضل الأمور كان تعلمه طلباً للأفضل فكان تعليمه إفادة للأفضل، وبيانه أن مقاصد الخلق مجموعة في الدين والدنيا ولا نظام للدين إلا بنظام الدنيا،"⁵.

⁵ - (1) و(2): إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، موقع الوراق <http://www.alwarraq.com>، ج1، ص11.

أهمية البحث

ترجع أهمية هذا البحث للأسباب الآتية :

1- مساهمته في توضيح مفهوم الجودة الشاملة ونشر ثقافتها .

2- إن ضمان الجودة في التعليم أصبح وسيلة التأكد من تحقيق النظام التعليمي لأهدافه المرسومة ومن مصداقية

جهود المؤسسات التعليمية وارتباطها برسالتها وغاياتها، ومن كسب ثقة المستفيدين من الخدمة التعليمية

والمولين لها والتأكد من رضاهم عنها .

3- إبراز المنطلقات الفكرية والأسس الشرعية في تحقيق الجودة في التعليم

4- بيان شمولية أسس الجودة كل ما يرتبط بالتربية والتعليم

أهداف البحث

يسعى هذا البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية :

- [1] التعريف بنظام إدارة الجودة الشاملة وثقافته .
- [2] توضيح أهمية نظام إدارة الجودة الشاملة في الارتقاء بالمؤسسات .
- [3] الإسهام في نشر ثقافة الجودة الشاملة على ضوء الإسلام

الفهرسه

الفصل الأول بعنوان مفهوم الجودة الشاملة وبه ثلاثة مباحث .

المبحث الأول بعنوان تعريف الجودة لغة واصطلاحا .

المبحث الثاني فيتحدث عن أهمية إدارة الجودة الشاملة ومفهومها .

المبحث الثالث فيناقش سبل تحقيق جودة التعليم

الفصل الثاني: وهو بعنوان الجودة الشاملة في الإسلام وبه ثلاثة مباحث .

المبحث الأول الإسلام كمال الجودة والإبداع .

المبحث الثاني فيتحدث عن منظومة الفكر الإسلامي في جودة التعليم .

المبحث الثالث فيتحدث عن علاقة الجودة بمفهوم التربية .

الفصل الثالث : فهو بعنوان معالم جودة التعليم على ضوء الإسلام وتضمن أهم المعالم

المعلم الأول :أهمية طلب العلم

المعلم الثاني:الموازنة بين احتياجات المتعلم

المعلم الثالث: الاستمرار والتجديد

الفصل الرابع فهو بعنوان محاور الجودة ويتحدث عن الأهداف أولاً ثم عن المحتوى ثم عن طرق التدريس

الفصل الخامس: فهو بعنوان خاتمة وتوصيات أسأل الله أن ينفع بجهدي وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم

الفصل الأول بعنوان مفهوم الجودة الشاملة وبه ثلاثة مباحث .

المبحث الأول بعنوان تعريف الجودة لغة واصطلاحا .

المبحث الثاني فيتحدث عن أهمية إدارة الجودة الشاملة ومفهومها .

المبحث الثالث فيناقش سبل تحقيق جودة التعليم

الفصل الأول

الجودة الشاملة

إن الأحداث المتلاحقة التي شهدتها في هذا القرن أحدثت تغيرات كثيرة في النظم الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وتركت آثارها قسراً أو اختياراً على كثير من النظم التعليمية في المجتمعات المختلفة، وجعلت التغيير للارتقاء بالتعليم أمراً ضرورياً للبقاء وفرضت الاهتمام بالمواصفات والشروط التي يتم بمقتضاها الحصول على شهادة الجودة العالمية (ISO).

فلحلت الجودة الشاملة مكانة الصدارة في تفكير الاقتصاديين والتربويين لتحسين نوعية التعليم كافة مستوياته وفي جميع أبعاده وعناصره.

وأصبحت الجودة الشاملة إحدى القضايا التي تهتم القيادة الإدارية في أي مؤسسة تسعى لرفعها كما استخدمت الجودة في التنافس بين تلك المؤسسات.

ولما كان نجاح الإدارة يرتبط بالكفاءة الإنتاجية، لذا ظهرت إدارة الجودة الشاملة (TQM) لتحقيق رفع

الإنتاجية واستمرارية الجودة، وأصبحت إدارة الجودة الشاملة استراتيجية متكاملة لتطوير المؤسسات الإنتاجية

والخدمية، ومنها المؤسسات التعليمية، لأنها إدارة تركّز على أداء العمل بطريقة صحيحة، وبأسلوب نموذجي ومثالي يتجنب تجديد الموارد أو سوء استغلالها، ويقلل المنازعات بين العاملين، ويرضي المستفيدين ويدعم الابتكار والتجديد .

ويرى بونستينكل Bonstingl 1992: إن المدرس والمدرسة بتوفيرهم أدوات التعليل الفعالة والبيئة التنظيمية الملائمة يمثلان جهة تقديم الخدمة، والطالب يمثل المستفيد الأول، فإن مسؤولية المدرسة هي توفير التعليم الذي يجعل من الطلاب نافعين على المدى البعيد وذلك بتدريسهم كيفية الاتصال بمحيطهم وكيفية تقويم الجودة في عملهم وعمل الآخرين، وكيفية استثمارهم لفرص التعليم المستمر على مدى الحياة لتعزيز تقديمهم إن المستفيد الثانوي من خدمات المدرسة هم الآباء وأولياء الأمور والمجتمع الذين من حقهم توقع نمو مدارك وقدرات ومهارات أبنائهم الطلاب وتطور شخصياتهم ليكونوا نافعين لذويهم ومجتمعهم .

وحقيقة إن الجودة تقع عبئها على كاهل المدرس والطالب من جهة والمدرسة والمجتمع من جهة أخرى. إن جودة

التعليم ليست هبة تمنحها الشركات وإنما منتهج نطبقه الأمة وتستثمره ، ونفعل من أجله الوقت والجهد والمال

والمثابرة. وجودة التعليم لا تبدأ

من المؤتمرات ولا من القوانين، بل تنجأ من المدرسة ومن الفصول ومن اهتمام الوالدين ومن مشاركة الإدارة

والمعلمين والطلاب في تحمل مسؤولية تطوير التعليم وضبط جودته

وتتحقق جودة التعليم من خلال وجود سياسة واضحة ومحددة للجودة الشاملة وكفاءة التنظيم الإداري

للمؤسسات التعليمية، وتفعيل نظام المتابعة والتقييم لتفادي الوقوع بالأخطاء، وتوفير نظم تدريب عالية المستوى

للهيئة التعليمية والإدارية

إن الاهتمام بضبط الجودة في المؤسسات التعليمية ينبع من النظر إلى التعليم باعتباره سلعاً كثيرة من السلع - لا بد له

أن ينافس، وأن يسعى إلى إرضاء مستهلكي تلك السلع من الطلاب والمجتمع والدولة.

ويرى بعض الباحثين أن عدم النهوض بمخرجات التعليم لتكون ذات إسهامات فعالة في تنمية المجتمع، يترتب

عليه ظهور البطالة في صفوف المتعلمين، وانخفاض المستوى المعيشي لعدد كبير من الأسر، وعدم الارتباط بين

تخصصات التعليم ومتطلبات سوق العمل⁶.

⁶ - (أتكسون، فيليب (1996، ص47) إدارة الجودة الشاملة: الأساس الصحيح لإدارة الجودة الشاملة، ترجمة عبد الفتاح النعماني . القاهرة : مركز

وفي البلاد العربية هناك الكثير من الانتقادات التي توجه إلى تدني جودة ونوعية المخرجات التعليمية في تلك الدول، وعدم مواءمة مخرجات التعليم مع متطلبات خطط التنمية وعدم مناسبة مخرجات التعليم لحاجات سوق العمل، وارتفاع تكلفة التعليم في ضوء معدلات التخضم العالية وزيادة الهدر التربوي في المؤسسات التعليمية ونظراً لأهمية تطوير مدخلات التعليم وعملياته ومخرجاته فقد أصبح من المسلم به قبول مبدأ التقييم الشامل لعناصر النظام التعليمي وصولاً بمرامجه إلى تحقيق أهدافها المنشودة من جهة وتحقيقاً للاستثمار الجيد للانفاق على التعليم من جهة أخرى .

وأدى ذلك إلى اتجاه قوي يرمي إلى السعي الجاد للارتقاء بجودة النظام التعليمي على المستويين الداخلي والخارجي من خلال تحسين الجودة الشاملة ، وضبط تلك الجودة باستخدام معايير ونظم الجودة الشاملة المختلفة .

تعريف الجودة لغة واصطلاحاً

على الرغم من البساطة التي يبدو بها مفهوم "الجودة"، فإنه مع ذلك ليس من السهل تعريفه تعريفاً جامعاً مانعاً. وقد تعددت تعاريف الباحثين، واختلفت في تحديد دلالات الجودة وضبط مؤشرات قياسها، والسبب في ذلك هو أن الجودة لا توجد بمعزل عن سياق استعمالها، كما أن الحكم حولها يختلف باختلاف الزاوية التي ينظر منها إليها. غير أن العديد من التعاريف اللغوية والاصطلاحية تكاد تتفق حول ما يلي:

1- المعنى اللغوي:

"الجودة تدل على الحسن والجمال، والجيد نقيض الرديء، وجاد الشيء جودة أي صار جيداً، والجودة هي

درجة الإتقان أو التميز والأفضلية

الجودة من (أجاد) أي أحسن. يقال (فلان تكلم فأجاد، أي تكلم فأحسن.. فلان عمل فأجاد أي عملاً أحسن)

والجودة تعني الإتقان كما تعني في مستوياتها العالية التفوق والإبداع وهي نتيجة الاهتمام أساساً بالكيف والنوع

لا بالكم

2- المعنى الاصطلاحي:

يدل المعنى الاصطلاحي للجودة على " إنتاج الشيء على أفضل وجه، أو أداء عمل معين بصورة متقنة. والجودة في معناها العام هي قيام مؤسسة أو شركة بإنتاج سلعة أو تقديم خدمة تتصف بمستوى عال من الإتقان الذي يميزها، وبما يلائم رغبات الزائن ويتفق مع توقعاتهم من هذا المنتج أو هذه الخدمة " أي مطابقة المنتج أو الخدمة المقدمة للالتزام الذي تم التعبير عنه بشكل صريح أو ضمني.

3- الجودة في التربية والتعليم:

يعتبر الكثير من المهتمين بأن "التعليم المتسم بالجودة هو ذلك التعليم الذي يقدم للمتعلمين مضامين معرفية تتفق مع احتياجات عصرهم ومتغيراته، ويستخدم طرائق ومناهج تمكن من تطوير شخصياتهم وتوهم للحياة خارج أسوار المؤسسة التعليمية"

وبالتالي فإن الجودة في حقيقتها تعرف بأنها " مجموعة من الخواص والخصائص الكلية التي يحملها المنتج أو الخدمة والتي تحدد إلى أي مدى تحقق احتياجات ورضا العميل "

ويتجاوز بعضهم هذا المفهوم إلى أن الجودة ليست فقط تحقيق احتياجات وتوقعات العميل ، بل الوصول إلى أكثر

من توقعاته وإسعادته وولائه للمنظمة

وأما الجودة في المصطلح الحديث فقد ارتبطت - إجمالاً - بالجوانب الاقتصادية والتنظيمية مثل الجودة الإدارية-

الجودة التصميمية-الجودة الصناعية-الجودة الزراعية

وهي في هذه المجالات باتت محكمة بمواصفات ومعايير ومقاييس، ولم تعد خاضعة لمزاج والذوق الشخصي-

وبالتالي فإن الإنتاجية الجيدة باتت تحتاج إلى شهادة جودة من شركات ومؤسسات نشأت لهذه الغاية

وقد جاء في كتاب إدارة الجودة الشاملة للدكتور عادل الشهراوي ما يوضح (نظام الجودة ومواصفاتها القياسية

الدولية آيزو 9000) بالنسبة لأي إنتاج

تعريف الجودة وفق المصطلحات الحديثة:

" هي توفر كامل الملامح والخصائص لمنتج أو خدمة ما بصورة تمكن من تلبية احتياجات ومتطلبات محددة أو

معروفه ضمناً ، أو هي مجموعة من الخصائص والمميزات لكيان ما تعبر عن قدرته على تحقيق المتطلبات المحددة

أو المتوقعة من قبل المستفيد "

في السياق التالي نوضح بعض التعريفات لمفهوم إدارة الجودة الشاملة ثم نحلل هذه التعريفات لتوضيح الاتفاق

والاختلاف في المفهوم والمعنى .

1 تعريف معهد الجودة الفيدرالي الأمريكي : " أداء العمل الصحيح بشكل صحيح من المرة الأولى مع الاعتماد

على تقييم المستفيد في معرفة مدى تحسين الأداء " .

2 تعريف Robert Kerensky " هي فلسفة تعزز مهمة مؤسسة ما باستخدام أدوات وتقنيات تحسين

الجودة المستمر كوسيلة لتحقيق الرضا المتبادل والمتزامن لجميع الأطراف المشاركة "

3 تعريف Jablonski " هي عبارة عن شكل تعاوني لإنجاز الأعمال، يعتمد على القدرات والمواهب

الخاصة بكل من الإدارة والعاملين لتحسين الجودة والإنتاجية بشكل مستمر عن طريق فريق العمل " .

4 تعريف عفيفي " التخطيط والتنظيم والتنفيذ والمتابعة وفق نظم محددة موثقة تقود إلى تحقيق رسالة المؤسسة

التعليمية في بناء الإنسان من خلال تقديم الخدمة التعليمية المميزة وأنشطة بناء الشخصية المتوازنة " .

5 تعريف Rio Salado College "هي العملية التي يمكن من خلالها رفع مستوى القائمين بالتدريس

والنظام والكلية في ضوء توقعات الطلاب من خلال عملية متقنة البناء لحل المشكلات ، يستطيع القائمين بالتدريس

والطلاب تطوير جودة التعليم " .

6 تعريف Lam " التغيير الجوهرى في طريقة أداء الأعمال ، فهي ابتكار لاتجاه جديد يتضح من خلال أداء

صاحب العمل وأفراد الإدارة العليا ، إنها عبارة عن مناخ يتضمن الإبداع والقيادة والابتكارية والمسؤولية الفردية

وتطبيق الحساب " .

من التعريفات السابقة الذكر يتضح أن هناك بعض الاختلافات فيما بينها فنجد أن lam و Rio Salado

college ومعهد الجودة الفيديرالى و jablonski و Robert يركزون على أداء العمل وتطوير عمليات

التشغيل نجد أن عفيفي وكلية ريو اتفقتا علي جانب تحسين الأداء التعليمي وتحقيق أهداف رسالة المؤسسة

لقد ارتبط المفهوم التقليدي لجودة التعليم بعمليات الفحص والتحليل والتركيز فقط علي الاختبارات النهائية دون

مراجعة القدرات والمهارات الإدراكية والحركية والمنطقية والسلوكية ، والذي يستند بالدرجة الأولى على ضرورة

اختيار معدلات نمطية للأداء وبناء منظومات لإدارة جودة التعليم

لقد أظهرت صعوبات التطبيق أهمية بالغة لتطبيق إدارة الجودة في التعليم والتي تحتاج مشاركة الجميع لضمان البقاء والاستمرارية لمؤسسات التعليم وهو أسلوب تحسين الأداء بكفاءة أفضل ويهتم نظام الجودة بالتحديد الشامل للهيكـل التنظيمي وتوزيع المسؤوليات والصلاحيات على الأفراد ، وإيضاح الأعمال والإجراءات الكفيلة بمراقبة العمل ومتابعته ، كذلك مراقبة وفحص كل ما يرد إلى المؤسسة التعليمية والتأكد على أن الخدمة قد تم فحصها وأنها تحقق مستلزمات الجودة المطلوبة .

ويعتبر ادوارد ديمينج رائد فكرة الجودة الشاملة حيث طور أربعة عشر نقطة توضح ما يلزم لإيجاد وتطوير ثقافة الجودة ، وتسمى هذه النقاط " جوهر الجودة في التعليم " وتتلخص فيما يلي:-

- 1- إيجاد التناسق بين الأهداف.
- 2- تبني فلسفة الجودة الشاملة.
- 3- تقليل الحاجة للتفتيش .
- 4- إنجاز الأعمال المدرسية بطرق جديدة.
- 5- تحسين الجودة ، الإنتاجية ، وخفض التكاليف.

6- التعلم مدى الحياة.

7- ممارسة روح القيادة في التعليم.

8- التخلص من الخوف.

9- إزالة معوقات النجاح.

10- توليد ثقافة الجودة لدى العاملين.

11- تحسين العمليات.

12- مساعدة الطلاب على النجاح.

13- الالتزام.

14- المسؤولية.

وحتى يكون للجودة الشاملة وجود في مجال التطبيق الفعلي لا بد من توفر خمسة ملامح أو صفات للتنظيم الناجح

لإدارة الجودة الشاملة من أجل الوصول إلى جودة متطورة ومستدامة وذات منحنى دائم الصعود ، وهذه الملامح

هي:-

1- حشد طاقات جميع العاملين في المؤسسة بحيث يدفع كل منهم بجهدهِ وإبداعهِ تجاه الأهداف الاستراتيجية للمؤسسة مع التزام الجميع بما يخصه .

2- الفهم المتطور والمتكامل للصورة العامة، وخاصة بالنسبة لأسس الجودة الموجهة لإرضاء متطلبات "العميل" أو متلقي الخدمة ، والمنصبية على جودة العمليات والإجراءات التفصيلية واليومية للعمل .

3- قيام المؤسسة على فهم روح العمل الجماعي - عمل الفريق - .

4- التخطيط لأهداف لها صفة التحدي والتي تلزم المؤسسة وأفرادها بارتقاء واضح وملموس في نتائج جودة الأداء .

5- الإدارة اليومية المنظمة للمؤسسة- القائمة على أسس مدروسة وعملية - من خلال استخدام أدوات مؤثرة وفعالة لقياس القدرة على استرجاع المعلومات والبيانات (التغذية الراجعة) .

مما سبق يتبين أن الجودة الشاملة في التعليم ، تمثل معايير عالمية لقياس مخرجاته ونواتجه، وهي إنتقال من ثقافة الحد

الأدنى ، إلى ثقافة الإلتقان والتميز، فهي نقلة بخطى سريعة نحو المستقبل ، وهي ثورة إدارية جديدة، وتطوير لكل

وسائل وأساليب العمل مع الاعتماد على تقييم المستفيد في معرفة مدى تحسن الأداء" .

والجودة (طبقاً لتعريف منظمة الايزو العالمية) تعني "الوفاء بجميع المتطلبات المتفق عليها بحيث تنال رضا

العميل، ويكون المنتج ذو جودة عالية وتكلفة اقتصادية معدلة".

ومن منظور العملية التعليمية فالجودة تعني: الوصول الى مستوى الأداء الجيد، وهي تمثل عبارات سلوكية تصف

أداء المتعلم عقب مروره بخبرات منهج معين، ويتوقع أن يستوفي مستوى تمكن تعليمي حدد مسبقاً .

وإدارة الجودة الشاملة تعتمد على تطبيق أساليب متقدمة لإدارة الجودة وتهدف للتحسين والتطوير المستمر وتحقيق

أعلى المستويات الممكنة في الممارسات والعمليات والنواتج والخدمات.

و في المجال التربوي، تمثل الجودة أساساً في المعايير التي ينبغي توفرها في أداء المعلمين و إنجازاتهم لتكون مستجيبة

لما تم التخطيط له . و تترجم هذه المعايير إلى محكات مضبوطة لإصدار أحكام بخصوص مستوى أداء المتعلم و

درجة إتقانه، وتأثير التعليم و فعالية وسائله .

و تتجلى الجودة التعليمية ، فيما تمكن المتعلم، ضمن شروط معينة، من أدائه بالفعل، و فيما ينبغي أدائه حسب

ما تحدده الكفايات المنشودة. و يمكن تحديد العوامل المسؤولة عن جودة التعليم، حسب عبدالكريم غريب في

أربعة عوامل أساسية: العوامل المرتبطة بالمتعلم، و العوامل المرتبطة بأسرة المتعلم، و العوامل المرتبطة بالمدرسة و العوامل المرتبطة بمحيط المدرسة التعليمية .

وحظي موضوع الجودة الشاملة في التربية والتعليم بالاهتمام ، وأقيمت من أجله الورش وعقدت الندوات،

فالأهتمام بإدارة الجودة الشاملة في المؤسسات التعليمية لاييني أنها تخطط لجعل المؤسسات التعليمية وخصوصا

المدارس والجامعات ، منشآت تجارية أو صناعية، تسعى إلى مضاعفة أرباحها عن طريق تحسين منتجاتها، ولكن

ما ينبغي أن نستفيد منه كمدخل في إدارة الجودة الشاملة للتعليم، لتطوير أساليب الإدارة التعليمية تحقيقاً لجودة

المنتج التعليمي .

إن التعريفات السابقة للجودة الشاملة متعددة الأبعاد انتقلت من مجال الصناعة والعمل الحكومي إلى ميدان التعليم

أسوة بمصطلح الإستراتيجية الذي انتقل من مفهوم فن قيادة الحرب إلى استراتيجيه التدريس في المؤسسات التعليمية

لقد أصبحت الجودة الشاملة وجودتها هي سمة الحوار السائد الآن حول العملية التعليمية بإبعادها المختلفة

مفهوم إدارة الجودة الشاملة وأهميتها

إن الجودة الشاملة تشير في المجال التربوي إلى مجموعة من المعايير والإجراءات يهدف تنفيذها إلى التحسين المستمر في المنتج التعليمي، وتقرر مجموعة المواصفات والخصائص المتوقعة في المنتج التعليمي وفي العمليات والأنشطة التي تتحقق من خلالها تلك المواصفات، كما توفر الجودة الشاملة أدوات وأساليب متكاملة تساعد المؤسسات التعليمية على تحقيق نتائج مرضية أهمها:

- 1 زيادة إنتاجية المعلمين .
- 2 تحسين أداء القائمين بالتدريس من خلال إدارة الجودة .
- 3 تقليل الأخطاء في العمل العلمي والإداري،
- 4 توفير الإمكانيات والتسهيلات اللازمة لإنجاز العمل .
- 5 ربط العملية التعليمية باحتياجات سوق العمل.

6 -ترابط الأداء ، حيث تداخل العمل الجماعي مع القيادة الفعالة مع الرؤية المشتركة يؤدي إلي جودة المنتج

التعليمي

إن تحقيق ثقافة الجودة في التعليم والمعرفة لا تقارن أبداً مع مبدأ الجودة في الإنتاج الصناعي أو التجاري أو الزراعي

لان التعليم والمعرفة قيمتان وركيزتان تعتمدان على العقل والفكر بشكل أساسي ، ولذلك فإنهما يرتبطان بالجانب

الفكري والروحي عند الإنسان أكثر من ارتباطهما بالجانب المادي .

وعندما نتحدث عن الجودة في التربية والتعليم فماذا نقصد بالضبط ؟ هل نقصد جودة المبنى المدرسي

والتجهيزات والبيئة التعليمية ؟ أم نقصد جودة البرامج والمناهج الدراسية ؟ أم نقصد جودة الأداء المهني للمدرسين

والمديرين ومستوى كفاءاتهم ؟ أم نعني بجودة التعليم نسب ومعدلات النجاح والحصول على الشهادات الرسمية ؟ أم

نعني بها نسبة قبول الناجحين في الجامعات والمعاهد المشهود لها في المجتمع ؟ أم يتعلق الأمر بنسبة حصول الخريجين

على الوظائف وفرص العمل في سوق الشغل ؟ إنها في الحقيقة مجموع هذه الأشياء .

ولما كانت المنظومة التربوية تشكل وحدة متكاملة، تتفاعل مختلف مكوناتها، وتتبادل التأثير والتأثر، فإنه لا ينبغي

إغفال أي عنصر من عناصرها، ولا ينبغي أن تقتصر مواصفات الجودة في التربية والتعليم على بنية دون أخرى من

بنيات المنظومة التعليمية، بل ينبغي أن تشمل كافة البنيات في تكامل وتناسق يفضيان إلى تحقيق الجودة، على اعتبار أنها العمود الفقري لكل نظام تعليمي يخوض رهان التحدي، ويسعى إلى الانخراط الإيجابي والفعال في العالم الجديد الذي تطبعه روح المبادرة والمنافسة والابتكار.

إن مفهوم الجودة في التعليم له معنيان مترابطان أحدهما واقعي والآخر حسي فجودة التعليم بمعناها الواقعي تعني التزام المؤسسة التعليمية بإنجاز مؤشرات ومعايير حقيقية متعارف عليها- أما المعنى الحسي لجودة التعليم فيرتكز على مشاعر وأحاسيس متلقي الخدمة التعليمية كالطلاب وآولياء الأمور .

إن ثقافة الجودة وبرامجها تعني اشتراك كل المسؤولين في إدارة المؤسسة التعليمية والطلاب وأعضاء هيئة التدريس بشكل فعال ليحقق أهدافه ورسائله المزروطة به من قبل المجتمع والإطراف العديدة ذات الاهتمام بالتعليم .

إن الجودة أحد أهم الوسائل والأساليب لتحسين نوعية التعليم والارتقاء بمستوى أدائه في العصر الحالي الذي يطلق عليه بعض المفكرين بأنه عصر الجودة، حيث أضحت الجودة ضرورة ملحة تملحها حركة الحياة المعاصرة و دليل على بقاء الروح لدى المؤسسة التعليمية .

وهي تتطلب الأخذ بمنهج التخطيط الاستراتيجي لبناء أجيال قادرة على مواجهة هذه التغيرات بفكر جديد

يتجاوز حدود الواقع ويستشرف المستقبل بما يحمله في طياته من تهديدات وفرص.

إن مفهوم الجودة وفقا لما تم الاتفاق عليه في مؤتمر اليونسكو للتعليم والذي أقيم في باريس (1998) ينص على أن

الجودة في التعليم العالي(وينطبق ذلك أيضا على سائر مراحل التعليم) هو مفهوم متعدد الأبعاد ينبغي أن يشمل جميع

وظائف التعليم وأنشطته مثل :-

1 - المناهج الدراسية .

2 - البرامج التعليمية .

3 - البحوث العلمية .

4 - الطلاب .

5 - المباني والمرافق والأدوات .

6 - توفير الخدمات للمجتمع المحلي .

7 - التعليم الذاتي الداخلي .

8 - تحديد معايير مقارنة للجودة معترف بها دوليا .

إن إدارة الجودة الشاملة تمثل مظلة ينضوي تحتها عدد كبير من مبادرات الجودة التي يمكن إدارتها على أن تشمل

المكونات التالية

1- ضبط الاجتماعي للعملية (statistical process control)

2- دوائر الجودة (quality circles)

3- خدمة العميل (customer service)

4- تأمين مراقبة الجودة (منهج تاجوشي) (tayuchi methodology)

5- الوقت المحدد (just in time)

6 في مجال التربية تحسين جودة النظام التعليمي (educational system quality)

(improvement)

في إطار المشروع البريطاني للجودة في التعليم العالي ظهرت عدة خصائص للجودة الشاملة في التعليم منها

(Nightingale & Oneil, 1994, pp.65-72):

أ - إن الجودة تساوي المقاييس المرتفعة مهما اختلفت الفروق بين الطلاب وأعضاء هيئة التدريس والإداريين في

التعليم.

ب - إن الجودة تركز على الأداء بصورة صحيحة من خلال تنمية القدرات الفكرية ذات المستوى الأعلى، وتنمية التفكير الابتكاري والتفكير الناقد لدى الطلاب.

ج - إن الجودة تعني التوافق مع الغرض الذي تسعى إلى تحقيقه المؤسسة التعليمية.

د - إن الجودة تشير إلى عملية تحويلية ترتقي بقدرات الطالب الفكرية إلى مرتبة أعلى، وتنظر إلى المعلم على أنه مسهل للعملية التعليمية، وإلى الطالب على أنه مشارك فعال في التعليم.

سبل تحقيق جودة التعليم

لا يمكن للجودة أن تتحقق في التعليم إلا من خلال تأسيس المنهج الفكري السليم الذي تدير عليه هذه العملية التعليمية ، والتي تضمن إضافة للعلوم والمعارف التي يتلقاها الطالب ، منظومة القيم الخلقية ، ونظم العلاقات الإنسانية ، ووسائل الاتصال المتطورة وغيرها من الضروريات التي تجعل من حياة الطالب في المؤسسة التعليمية متعة ، فضلا عن المادة العلمية التي يتلقاها ويجب أن لا ننسى أن التعليم هو عصب تنمية المجتمع لأنه من أهم ركائز التنمية البشرية ، لذا فإن الاهتمام بالتعليم ما قبل الجامعي متمثلا في تطوير المدرسة تعتبر بمثابة معمل تجهيز العناصر البشرية وتأهيلها وتصنيفها للجامعة وما بعد الجامعة.

ولاشك أن تبني المؤسسات التعليمية فلسفة جودة التعليم أو إدارة الجودة الشاملة ، يعني رسالة تحسين الأداء و المنتج التعليمي حتى الإتقان ، أن بعض المصطلحات كانت لها معنى وأهمية في وقتها ، ساهمت بقدر كبير في تحديث العملية التعليمية ثم تلاشى الجانب الأكبر منها و بقي اليسير الذي تناقله الأعلام العلمية بصورة نادرة على استحياء بعد أن كانت هذه المصطلحات (الكفايات - الاستراتيجية) مشاريع هامة الهدف منها تحسين الأداء التعليمي .

لماذا يجب تطبيق الجودة الشاملة في النظام

1. إن غالبية الدول النامية أخذت بإستراتيجية الكم لاستيعاب تدفق الأطفال من السكان إلى الجهاز التعليمي، إن هذه الإستراتيجية كانت على حساب نوعية العملية التربوية.
2. تحسين مخرجات العملية التربوية.
3. إن الثورة التكنولوجية الشاملة والقائمة على التدفق العلمي والمعرفي يمثل تحدياً للعقل البشري مما جعل المجتمعات تتنافس في الارتقاء بالمستوى النوعي لنظمها التربوية.
4. بما أن الطالب هدف ومحور العملية فيجب إرضائه كزبون أساسي في العملية التربوية.
5. ضرورة إجراء التحسينات في العملية التربوية بطريقة منظمة من خلال تحليل البيانات باستمرار.
6. استثمار إمكانيات وطاقات جميع الأفراد العاملين في العملية التربوية.
7. للجودة الشاملة ثقافة إدارية خاصتها يستوجب تغيير نمط الثقافة التنظيمية الإدارية في المؤسسة التعليمية بما يساعد على تحقيق الجودة الشاملة.

أما أهم السبل لتحقيق جودة التعليم:-

1- فهم كافة القوى الممثلة للمؤسسة التعليمية ما يحويه مصطلح الجودة ومركباته حتى يتسرى لهم الاشتراك

الفعلي في تحقيق الرسالة

2- توفير المؤسسات التعليمية البيئة الصالحة للتطبيق

3- تحديد كل مؤسسة تعليمية سواء كانت في المراحل الأولية أو الوسطى أو العالية رسالتها ثم تعمل على

تنفيذها من خلال تذليل الصعاب حتى تتحقق الأهداف الرئيسية التعليم

4- التركيز على مقومات الطالب.

5- الاهتمام بالمنتج التعليمي غير المباشر

6- اكتشاف الحلقات المهدرة بأنواعها المختلفة .

7- تطوير التعليم من خلال تقويم النظام التعليمي

بما في ذلك كل المدخلات والعمليات والمخرجات حتى يتم الضبط الفعلي لجودة الخدمة التعليمية

يعمل النظام التعليمي كأى نظام إنتاج آخر وفق استراتيجية معينة تراعى الظروف الاقتصادية والاجتماعية المحيطة بالنظام، والبناء الثقافى السائد داخل النظام، والمناخ التنظيمى والتقدم التقنى والمصادر المادية والبشرية التى يوفرها النظام، وحاجات ورغبات ممولى النظام. لذا فإنه يهتم بأن تكون مخرجاته متفقتة والمواصفات العالمية لضبط جودة الإنتاج من خلال السعى الدائم إلى استخدام معايير لقياس الجودة وضبطها.

ويشتمل نموذج تاجوشى على النقاط التالية:

- 1 - إن التصميم الجيد للعملية والمنتج يسهم بشكل فاعل فى جودة المنتج وتقليل التكاليف.
- 2 - تتطلب عملية تحسين الجودة تخفيضاً مستمراً فى الانحرافات الخاصة بأداء العملية أو المنتج.
- 3 - يمكن تحديد المقاييس والمعايير الخاصة بالعملية أو المنتج، وذلك عن طريق استخدام التجارب الاحصائية.
- 4 - يمكن تخفيض انحراف الأداء عن طريق استخدام التأثيرات غير الخطية بين مقاييس العملية وخصائص أداء المنتج.

⁷ - بن سعيد، خالد بن سعد عبد العزيز (1997، ص ص176-177) إدارة الجودة الشاملة تطبيقات على القطاع الصحى، الرياض: العبيكان للطباعة والنشر

إن مجمل المعايير يوصلنا إلى النقاط التالية:

- 1 - إن عملية تحسين الجودة لا تتم دون الاستثمار في برامج التعليم والتدريب المستمر للقوى البشرية للمنظمة
- 2 - إن العملاء هم الركيزة الأساسية لجميع عمليات تحسين الجودة.
- 3 - إن تحسين الجودة يسهم في تقليص النفقات على المدى البعيد وزيادة القدرة التنافسية للمنظمة.
- 4 - إن تحسين الجودة يستغرق وقتاً طويلاً يجب بأسلوب علمي.
- 5 - إن تحسين الجودة يتطلب من الإدارة العليا التركيز على مستوى الأداء من خلال المتابعة والتقييم وإجراء

التصحیحات الملائمة.

6 - إن تحسين الجودة الشاملة مهمة لجميع العاملين في كافة المستويات التنظيمية والفنية

إن العديد من الدراسات العربية أكدت على ضرورة مراجعة النظريات الإدارية الحديثة على ضوء سمات المجتمع

الإسلامي بحيث يمكن تعديلها وتطويرها لإمكانية الاستفادة منها في ضوء المنهج الإسلامي بمضامينه وتوجهاته

وكذلك أشارت العديد من الدراسات العربية، التي تناولت مفاهيم الجودة الشاملة الغربية إشارات عابرة دون أن

تدخل في التفاصيل إلى أن المنهج الإسلامي يحتوي الكثير من مبادئ الجودة الشاملة الغربية ولكن بصورة أكثر

حيوية ونضارة وأكثر ملائمة للمجتمع الإسلامي، وأن الإسلام ندب إلى الجودة والتميز في كل مناحي الحياة، وأن هذه المبادئ تظهر واضحة جلية في القرآن الكريم والسنة النبوية .

أن نموذج إدارة الجودة الشاملة في التعليم وكذلك في المجالات الأخرى يمكن أن يكون كغيره من النماذج التنموية المستوردة آية من آليات الغزو والتبعية الثقافية لأنه يعبر عن مضامين ثقافة مجتمعه وعن وضعية ذلك المجتمع الاقتصادية والاجتماعية

لذا لا بد من أن تصاغ إدارة الجودة في التعليم صياغة تنطلق من المنهج الذي اصطفى الله جل جلاله أمة الإسلام من بين سائر الأمم لتطبيقه والدعوة إليه في سائر أنحاء المعمورة رحمة بالبشرية ولتحقيق سعادتها - أن تطبيق فلسفة tqm في التعليم قد لا يحقق الثمار المرجوة منه ، لأن التعليم لدينا لا تتوافر له مؤهلات تطبيق فلسفة tqm الغربية كما لا يغيب عن بالنا الاختلاف في المنطلقات التربوية بيننا وبينهم مما يؤكد الحاجة لنشر ثقافة الجودة الإسلامية .

الفصل الثاني:

الجودة الشاملة في الإسلام وبه ثلاثة مباحث .

المبحث الأول: الإسلام كمال الجودة والإبداع .

المبحث الثاني: منظومة الفكر الإسلامي في جودة التعليم.

المبحث الثالث: علاقة الجودة بمفهوم التربية.

الفصل الثاني

مفهوم الجودة الشاملة في الإسلام

المبحث الأول- الإسلام كمال الجودة والإبداع

قال الله تعالى : صنع الله الذي أتقن كل شيء سورة النحل آية 88.

إن الإسلام - عقيدة وشريعة وأخلاقاً - هو كمال الجود وتماها . . ومن خلال ذلك نفهم المعاني الجليلة

في قوله تعالى : (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) المائدة 3

وكيف لا يكون الإسلام كمال الجودة والإبداع وهو دين الله

[بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ] (117) البقرة

إن الإبداع البشري هو أثر ومظهر من آثار ومظاهر الإبداع الرباني . . بل إنه وظيفته تكليفية ومسؤولية شرعية

وليس خياراً بشرياً قبله الإنسان أو رفضه:

قال الله تعالى: أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى (36) أَلَمْ يَكُنْ نَظْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَى (37) ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً فَخَلَقَ

فَسَوَّي (38) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى (39) أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى (40) القيامة

وإذا كانت الجودة مظهر من مظاهر الإحسان ونتيجة من نتائجه فإن الإسلام دعا دعوة مطلقة إلى الإحسان

قال سبحانه وتعالى : (صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ) (138) البقرة

وفي قوله تعالى : لِيُبْلِغَكُمْ إِلَيْكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا [هود: 7]

إشارة واضحة إلى أن الجزاء يتعلق بكيفية الأداء كائناً ما كان هذا الأداء ..

وكذلك في قوله تعالى: [إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا (7)] (الكهف)

وفي قوله تعالى: الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (2)] (الملك)

والمؤمن مأمور بالجودة والإبداع إذ أن الشكر لله على إبداع خلقه يفرض على الإنسان أن يكون محسناً مبدعاً في

عمله وصنعه ومهنته كائنة ما كانت ..

ففي قوله تعالى: لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (4):التين

دلالة واضحة على جودة الخلق وإحسان الخالق وإبداعه ..

وكذلك في قوله تعالى: وَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (12) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (13) ثُمَّ

خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ نَسَّأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ

اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (14): المؤمنون

إن هذه النصوص ترسخ في قلب المؤمن حب الجودة والسعي لتحقيقها وتوضح منهج الله في دعوته الإنسان إلى

الجودة والإبداع والإحسان ..

وصدق الله تعالى حيث يقول (وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ) النسأ: 125 :

ويقول تعالى: (وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا)

وفي الخطاب النبوي دعوة واضحة بينة إلى الجودة والإتقان والإبداع الإحسان-

كما في قوله صلى الله عليه وسلم : (إن الله تعالى يحب من العامل إذا عمل أن يحسبى رواه البيهقي . .

المبحث الثاني:- منظومة الفكر الإسلامي في جودة التعليم

المتأمل في قواعد السلوك وضوابط الحياة يجد أن المنهج الإسلامي عقيدة وشريعة حض على جودة العمل والأداء، وأن هناك منظومة فكرية متكاملة الأطر والمبادئ لبناء وتحقيق الجودة الشاملة بمعالها الإسلامية في كل

مجال بحسبه

وتقف من وراء الجودة الشاملة في الإسلام مجموعة من المفاهيم التي تعبر عن كنه الجودة الشاملة في الإسلام عامة والتعليم الإسلامي خاصة، هذه المفاهيم وثيقة الصلة بمقومات التصور الإسلامي وغاياته الكبرى ولقد تعددت

وتنوعت هذه المفاهيم لتعبر عن كل جوانب الجودة ومتغيراتها.

كما نجد منظومة متكاملة من القيم التي توجه السلوك التنظيمي للمعلم والمدير المسلم في المؤسسات التعليمية،

وتتضمن الجودة الشاملة في الإسلام مجموعة من المبادئ أو الأبعاد التنظيمية التي تتكامل فيما بينها بمرونة

وحركية- - لتحقيق التحسين المستمر في الأداء سعياً لتحقيق التميز وإرضاء المتعلمين ورعايتهم وتحقيق السبق

والريادة للمجتمع. ومن الملاحظ - أن عمليات إدارة الجودة الشاملة في الإسلام تعمل على كل المستويات التنظيمية

وفي جميع الاتجاهات بمرونة وحرية بما يكفل أداء العمل على وقته وتحقيق الالتزام الذاتي والرقابة الذاتية دون

غيبة للرقابة الرئاسية

--لم تكن منظومة تحقيق الجودة الشاملة في الإسلام منظومة نظرية في عقول أهلها ولكنها كانت ممارسات فعلية

جسدها الرسول صلى الله عليه وسلم في أفعاله وممارساته العملية وكذلك جسدها صحابته الكرام في العصور

الإسلامية الأولى مما نجم عنه حضارة بلغت من الرقي والجودة درجاتهما العالية

- كان لهذه المنظومة نماذجها التطبيقية التي أثبتت فعاليتها في تحقيق الجودة ومنع الأخطاء - نموذج الحسبة- كما

كان لها مصادر الدعم المالي الوفير- نظام الوقف-بغية التفرغ للإبداع والتميز مما عالج واحدة من المشكلات

الأساسية التي تسبب فشل العديد من مبادرات الجودة في العالم الآن،(مشكلة قلة الموارد المالية) .

-أن منظومة الجودة الشاملة في الإسلام وما تتضمنه من مفاهيم وقيم وأبعاد تنظيمية عالجت الكثير من

الإشكاليات التي تواجه نظم الجودة الغربية واستطاعت أن تحقق أهداف جميع أطراف العملية التعليمية وكذلك

أهداف المجتمع الذي تعمل فيه وله، دون تعارض أو تصادم:

- لقد ذهب الإسلام إلى ما هو أبعد من مفهوم الجودة إلى تحقيق الإتيان، وتحقيق ذلك مرهون بأمانة العمل و

الإخلاص فيه، والتأكيد على المسؤولية الفردية، و ضرورة توفر المعرفة والخبرة،

و تركزت معايير جودة الأهداف في واقعيتها و شمولها و توازنها و تأكيدها على استمرارية التعلم وإثارة التفكير

العلمي والبحث والاستقصاء مع الحرص على ضرورة مراعاة الدافع والنظرة المستقبلية، مع التأكيد على مبادئ

العدل والمساواة واحترام إنسانية الإنسان.

-- وأما معايير جودة المحتوى التعليمي، فقد تركزت في شمول المحتوى و توازنه و ارتباطه بالأهداف و مراعاته

لقدرات و استعدادات المتعلمين و ربط المحتوى ببيئة المتعلم مع مراعاة المحتوى للمستجدات و المتغيرات و

التطورات التي تحدث في المجتمع و توجيه المتعلم لمصادر التعلم المختلفة للاستفادة منها مع مراعاة خصائص

التكرار، وإعطاء الأمثلة و تتابع طرح الخبرات التعليمية بصورة متدرجة وفقاً لعلاقتها بعضها ببعض.

- ولاشك في أن جودة التعليم ترتبط بمراعاة خصائص المعلم و مؤهلاته و مستوى عمله، بالإضافة إلى اعتبار

التدريس أمانة مع الحرص على تنوع مصادر التعليم و طرق التدريس و مراعاة الفروق الفردية بين المعلمين

و استثمار حواس المتعلم و ربط التعليم ببيئة المتعلم، و تقديم النصح و الإرشاد للمتعلم حول كيفية التعلم و استثمار

الوقت و تشويق الطلاب و الحرص على استمرارية التعلم من قبل الطالب. و بخصوص المتعلم فقد أكدت التربية

الإسلامية على ضرورة الاجتهاد و المواظبة و إتباع المهارات الدراسية.

- و أما معايير التقييم من المنظور الإسلامي فقد أكدت على ضرورة تعدد وسائل التقييم، شمول أدوات التقييم

لمجالات التعلم، تعدد مجالات التقييم مع التأكيد على استمرارية التقييم و ضرورة مراعاة قدرات و استعدادات

المعلمين و توظيف نتائج التقييم في تطوير المتعلم إلى درجة تؤهله للقيادة و الريادة

المبحث الثالث : علاقة الجودة بمفهوم التربية

لا بد من إيضاح مفهوم التربية في الإسلام ليتبين لنا كيف تتحقق الجودة في المؤسسات التعليمية من خلال بناء

الشخصية المتوازنة المتميزة

التربية في اللغة:

للتربية في معاجم اللغة العربية عدة معان تدور كلها حول: الزيادة والنشأة والعناية والرعاية والتوجيه والإشراف

والمحافظة، وذلك على النحو الآتي:

1. ربا يربو ربواً بمعنى: زاد ونما وارتفع، ومن هذا المعنى قوله تعالى: ((وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبًّا لِيَرْبُو فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا

يَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ)) [سورة الروم: 39].

وقوله تعالى: ((فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً)) [الحاقة: 10]، أي: زائدة.

وأربيته بمعنى أنميته، قال تعالى: ((يُمَحِّقُ اللَّهُ الرَّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ)) [البقرة:

276]. أي: يضاعف أجرها وينميها له. وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم: " من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب، ولا يقبل الله إلا الطيب، وإن الله يتقبلها بيمينه،

ثم يربها لصاحبه كما يربي أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل"

قال ابن حجر: " وضرب به - أي: الفلو- المثل لأنه يزيد زيادة بينة، ولأن الصدقة نتاج العمل، وأحوج ما يكون

النتاج إلى التربية إذا كان فطيماً، فإذا أحسن العناية به انتهى إلى حد الكمال، وكذلك عمل ابن آدم - لا سيما

الصدقة - فإن العبد إذا تصدق من كسب طيب لا يزال نظر الله إليها يكسبها نعت الكمال حتى تنتهي

بالتضعيف إلى نصاب تقع المناسبة بينه وبين ما قدم نسبة ما بين التمرة إلى الجبل

ويقال: رب الولد: أي: وليه وتعهده بما يغذيه وينميه ويؤدبه

2. ربَّ يربُّ بوزن: مَدَّ يمدُّ، بمعنى: أصلحه، وتولى أمره، وساسه وقام عليه ورعاه، من ذلك:

الرب: بمعنى السيد والمالك والمصلح، ومنه قوله تعالى: ((اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ)) [سورة يوسف: 42].

ويعنى المتصرف والمدبر والمصلح، ومنه قوله تعالى: ((الرَّبَّابُ مُتَّفِقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ)) [سورة يوسف: 39]

ومنه قول صفوان بن أمية: "لأن يربني رجل من قريش أحب إلي من أن يربني رجل من هوازن".

ويقال: فلان رب هذا الشيء، أي: مالكة، وكل من ملك شيئاً فهو ربه

3. ربي يربى على وزن خفي يخفى، ومعناها: نشأ وترعرع، قال القرطبي في تفسير قوله تعالى: ((أو من ينشؤ في

الحلية)) [سورة الزخرف: 18]، أي: يربى ويشب، والنشوء: التربية، يقال: نشأت في بني فلان إذا شببت فيهم

وقال الراغب: "الرب في الأصل: التربية، وهي إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حد التمام".

والرباني: من الرب بمعنى التربية، كانوا يربون المتعلمين بصغار العلوم قبل كبارها.

ويقال: رب الولد ابنه، بمعنى غذاه وجعله ينمو، أي: حفظه ورعاه ونشأه.

والتنشئة والتغذية والرعاية هي عملية متكاملة تشمل جميع جوانب شخصية المرءى روحياً وعقلياً وجسدياً،

4. رباً يربأ رباً: بمعنى راقب وتابع، ويقال: ربأت القوم، أي: راقبتهم، والربيئة الطليعة، وهو العين الذي ينظر للقوم

ثلايدهم العدو، ولا يكون هذا الرقيب إلا على جبل أو شرف ينظر منه.

وفي الحديث: " مثلي ومثلكم كمثل رجل رأى العدو فانطلق يربأ أهله".

إن التربية تتكون من عناصر:

أولها: المحافظة على فطرة الناشئ ورعايتها.

ثانيها: تنمية مواهبه واستعداداته كلها، وهي كثيرة متنوعة.

ثالثها: توجيه هذه الفطرة وهذه المواهب كلها نحو صلاحها وكما لها اللائق بها.

رابعها: التدرج في هذه العملية، وهو ما يشير إليه الراغب بقوله: " حالاً فحالاً" والعيني بقوله: "تربية المتعلمين

بصغار العلوم قبل كبارها، وبالجزئيات قبل الكلديات، وبالفروع قبل الأصول، وبالمقدمات قبل المقاصد

ونستخلص من هذا نتائج أساسية في فهم التربية.

أولها: أن التربية عملية هادفة، لها أغراضها وأهدافها وغايتها.

ثانيها: أن المربي الحق على الإطلاق هو الله الخالق: خالق الفطرة وواهب المواهب، وهو الذي سنّ سنناً لنموها

وتدرجها وتفاعلها... كما أنه شرع شرعاً لتحقيق كمالها وصلاحها وسعادتها.

ثالثها: أن التربية تقتضي خططاً متدرجةً تسير فيها الأعمال التربوية والتعليمية وفق ترتيب منظم صاعد، ينتقل مع

الناشئ من طور إلى طور، ومن مرحلة إلى مرحلة في كل شأن من الشؤون.

رابعها: أن عمل المربي تالٍ وتابعٌ لخلق الله وإيجاده، كما أنه تابع لشرع الله ودينه وأحكامه

خامسها أن المربي مفكر يأخذ بالاعتبار مكتسبات المتعلم المعرفية، وكيفيه إدراكه للأشياء، وحاجاته فضلاً

عن أهداف البرنامج الدراسي، ومنهاج التدريس، وشروط إنجاز المهام المقترحة، والتوظيف الفعلي

لاستراتيجيات التعلم الهادفة والملائمة.

سادسها : أن المربي صاحب قرار: لا يقتصر عمله على تطبيق التعليمات والالتزام بالتوجيهات والتوصيات

المتعلقة بتنفيذ العمليات التعليمية بل يتعداها - متى وجب الأمر - إلى اتخاذ القرار المناسب فيما يخص مضمون

التعلم، وكيفية تقديمه، كما يخمن الأخطاء التي يمكن أن يقع فيها التلميذ، ويعد أمثلة متنوعة، ويأتي بأخرى

مضادة لها لإحداث أزمات التعلم، ويحاصره بها من كل جانب، اقتناعاً منه بأن الخطأ جزء من عملية البناء

المعرفي وسبيل لإحراز الكفاءات، هدفه في ذلك الوصول بالمتعلم إلى تحقيق استقلالية التفكير والفعل.

سابعها: أن المربي محفز على التعلم: يستطيع إقناع المتعلم بالنشاطات المقترحة عليه، مبينا جدارتها وجدواها في

إحداث التعلم فضلا عن أهميتها الاجتماعية والمهنية، وعلاقتها بواقع الحياة، وواقع المهارات والكفاءات.

ثامنها: أن المربي نموذج: فهو قدوة لمن يهمله، يأخذ منه وينقل عنه، ابتداء من الحضانة إلى غاية الجامعة، مروراً

بالإعدادي والثانوي. ومن الضروري جداً أن يكون النموذج الكفء الذي يحسن بالمتعلم أن يقلده في المراحل

الأولى، ويستلهم منه كيفية تطوير كفاءته في المراحل الأخرى.

تاسعها: أن المربي وسيط يحاور المتعلم ويناقشه في صعوبات المهام المعروضة عليه، ويساعده على وضع الخطط

الملائمة لحلها وتجاوزها، كما يذكره بالمعارف والخبرات المكتسبة سلفاً، عله يجد لها وظيفة في المهمة الحالية.

عاشرها: أن للربي مدرب: يعني أن مهمة كل تلميذ لديه هي التدريب على الحياة، وأن تدريبه يستلزم وضعه في

وضعية تلزمه القيام بمهام معقدة وهادفة على أن لا تكون صعبة ممتعة، وأن تكون من الواقع.

إن مهمة المربي تنشئة وتكوين إنسان مسلم متكامل من جميع نواحيه المختلفة من الناحية الصحية والعقلية

والاعتقادية والروحية والأخلاقية والإرادية والإبداعية في جميع مراحل نموه في ضوء المبادئ والقيم التي أتى بها

الإسلام، وفي ضوء أساليب وطرق التربية التي بينها.

أن التربية الإسلامية ذهبت لأبعد من مفهوم الجودة إلى مفهوم الإتقان، والإحسان المستمر مدى الحياة والفعال في تخطيط وإعداد وتنفيذ كافة عناصر العملية التعليمية من الروضة حتى المراحل المتأخرة من الحياة بغية إتقان عمليتي التعليم و التعلم، وتميز مخرج التعليم لقد استمدت التربية الإسلامية أهدافها وعناصرها وأساليبها ومناهجها، ضمن منظومة متكاملة، اتصفت بالتوازن والشمول والترابط في علاقة الإنسان بالكون والحياة، والتي نظمها الإسلام في علاقة تفاعل مستمر، ما دامت الحياة على الأرض، لهذا فإن التربية الإسلامية تشكل محصلة لعلاقات التفاعل بين الإنسان والكون والحياة، وبهذا تكون التربية عملية بناء وتوجيه للإنسان بغية الوصول به إلى مرحلة النضج والكمال، لهذا جاءت الرسالات السماوية، وتتابع الرسل والأنبياء من أجل إنقاذ الإنسان وبنائه روحياً وفكرياً وجسدياً، في إطار من التوازن يمكنه من أداء رسالته والقيام بدوره الاستخلافي على هذه الأرض موقفاً بين متطلبات الدارين مصداقاً لقوله تعالى: " وهو الذي جعلكم خلائف الأرض " (الأنعام، 165) وقوله: " ويجعلكم خلفاء الأرض " . (النمل، 62) .

لذلك كانت رسالة الإسلام واضحة في تناولها لكل مناحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والروحية والتربوية والعلمية مصداقاً لقوله تعالى: " ما فرطنا في الكتاب من شيء " . (الأنعام 38) .

إن رسالة الإسلام رسالة إعداد وتربية وبناء الإنسان القويم، ففي كل مبدأ من مبادئها تسعى لبناء الذات والكيان

الإنساني، مع الحرص على تنمية كافة جوانب شخصية الإنسان في أبهى صورة رسمها الله عز وجل، وهذه

الرسالة التربوية ما كانت لتكون لولا أنها مرتبطة بالعمل والبناء الفعلي لتحقيق سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة،

لأجل بلوغ الكمال الإنساني إلى قمته قولاً وعملاً، ورغم أن الكمال لله وحده إلا أن المطلوب الوصول بالإنسان إلى

مرتبة الكمال باعتباره قد استخلفه الله على الأرض.

الفصل الثالث

معالم جودة التعليم على ضوء الإسلام وتضمن أهم المعالم

المعلم الأول: أهمية طلب العلم

المعلم الثاني: الموازنة بين احتياجات المتعلم

المعلم الثالث: الاستمرار والتجديد

الفصل الثالث

معالم جودة التعليم على ضوء الإسلام

إن ما كتبه علماء التربية المسلمون في العصور الذهبية عن الجودة في التعليم بكل عناصره وأبعاده شيء كثير وكبير يتصف بالدقة والصحة والشمولية والمنطقية ولو أن المنظرين لجودة التعليم في عصرنا الحالي، اطلعوا على ما كتبه هؤلاء لأعجبوا به أيما إعجاب ولقدروه أكبر تقدير

قال الله سبحانه وتعالى "إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً " .

إن السبق الإسلامي في التأكيد على جودة التعليم تحت مسميات الإحسان والإتقان والسداد ، وما قرره من العديد من المحفزات القوية الدافعة إلى تحسين التعليم وتجويده بصورة مستمرة ، يدل على أن علماء التربية المسلمون قد اجتهدوا في تحديد معايير جودة التعليم المتعلقة بعناصر العملية التعليمية وإدارة الصف ، وقد ثبت بالدليل القاطع ، أن التعليم الإسلامي الجيد ، هو الذي أنتج لنا حضارة سامقة متميزة ، نعمت بها البشرية لقرون طويلة ، وحققت لأصحابها وغيرها من الشعوب التقدم العلمي والحضاري ولولا الفساد السياسي وما ترتب عليه من ضعف اقتصادي وتوالي الغزوات والحروب من الخارج إلى بلاد المسلمين ، لما ضعف التعليم وفقد عناصر جودته ولما وصل المسلمون إلى هذا المستوى من الترددي في جميع مجالات الحياة⁸.

⁸ - (طعيمة رشدي وآخرون، 2006 : 205): الجودة الشاملة ، دار النهضة العربية ، القاهرة

إن التعليم الذي تنشده الأمة اليوم ، هو الذي يجمع بين العلم والتكنولوجيا وحرارة الإيمان والاستعداد لحمل وتبليغ رسالة الإسلام رسالة العدل والحرية والمساواة والفضيلة وإنسانية الإنسان ، والجودة الشاملة للتعليم ، لا بد أن تتضمن هذا كله ويكون هدفها الأصيل من التعليم .

المعلم الأول: أهمية طلب العلم

حث القرآن الكريم على تلقي العلم المقتن بالإيمان يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات

(المجادلة ، آية :11) وجاء في الحديث الشريف " طلب العلم فريضة على كل مسلم⁹

ولأن طلب العلم فريضة فهو عبادة ، ذلك أن حقائق العلم ، هي آيات الله والتأمل في آيات الله والانتفاع بها في

عمارة الأرض ، ووظيفة الإنسان والغاية من خلقه.¹⁰

وبناءً عليه كان التعليم حقاً لكل مسلم بمعنى " إلتزام فريق من المسلمين المتعلمين ، بتعليم غيرهم ممن لا يعلمون ، لا

على أساس أن ذلك من يمتنون بها عليهم ، ولكن على أساس أن ذلك حق لهم¹¹ .

ورغب الإسلام بالسعي إلى تحصيل العلم ، ويتضح ذلك م خلال قول الله ﷻ : " من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً

سهل الله له به طريقاً إلى الجنة " .

واعتبر الإمام أبي حامد الغزالي المتوفى سنة 1059هـ) أن " صناعة التعليم هي أشرف الصناعات التي يستطيع

الإنسان أن يحترفها " .¹²

⁹ - (ابن ماجة ، الحافظ أبي عبد الله (ب.ت) ، ج1 : 181) سنن ابن ماجة ، تحقيق (محمد عبد الباقي) ، مطبعة دار إحياء الكتب العربية ،

بيروت

¹⁰ - (مدكور، على أحمد 1990 : 283) منهج التربية في التصور الإسلامي ، النهضة العربية ، بيروت

¹¹ - (علي ، سعيد إسماعيل 1999 : 21) نظرات في التربية الإسلامية ، مكتبة وهبة ، القاهرة

وأخبر المولى سبحانه وتعالى عن منته ونعمته العظيمة بأن بعث نبيه محمد ﷺ رسولاً ومعلماً "هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي
الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينَةٍ، آية:

(2)

وأفصح الرسول ﷺ عن جوهر رسالته من خلال قوله: "إن الله عز وجل لم يبعثني معنفاً ولكن بعثني معلماً

ميسراً¹³

ويتطلع الفرد المسلم - وهو يسعى إلى تحقيق الجودة العالية في المنتج التعليمي - إلى إرضاء الله عز وجل من
خلال التزام ما أمر به وحث عليه ولا يتعارض هذا مع الاستجابة لاحتياجات وتوقعات سوق العمل وتحقيق
الفائدة والنفع للمسلمين ، عملاً بالتوجيه النبوي الشريف " أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس "¹⁴

¹² - (ناصر ، 1989 : 14): أسس التربية ، دار عمار ، عمان

¹³ - ابن حنبل ، أحمد (ب.ت) ، : سند الإمام أحمد ، المكتب الإسلامي ، بيروت ج 3 : 328

9- (الطبراني ، سلمان أحمد أيوب أبو القاسم 1983 : المعجم الكبير ، تحقيق (حمدي السلفي) مكتبة العلوم والحكم ، الموصل،

وأبرز المقومات الخلقية التي أوجبها الإسلام على المعلم

1-الإخلاص

-أوجب الإسلام على المعلم أن يخلص النية في العمل ويتقنه وينصح فيه خشية من الله تعالى ، لأنه يراقبه وحتى يكون العمل متقناً من وجهة النظر الإسلامية ، ينبغي أن يتم على أكمل وجه دون إهمال أو تقصير أو تفريط¹⁵ .

-وقد أمر الله عز وجل عباده في مواضع عدة من كتابة الحكيم بالإخلاص في العبادة والأعمال ومن ذلك قوله عز وجل : " وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ " (البينة ، آية5)، وفي موضع آخر يرغب القرآن الكريم المؤمنين بإخلاص العمل لله عز وجل " فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا " (الكهف ، آية :110) .

-فالعمل المقبول له معياران ، أولهما أن يكون خالصاً لوجه الله وثانيهما أن يكون صواباً ، فإذا كان العمل خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً صواباً¹⁶

¹⁵ - (عبيدات ، زاهر الدين 2001 : القيادة والإدارة التربوية في الإسلام ، دار البيارق ، عمان 117)

¹⁶ - (الجوزية ، ابن القيم 2003 : مدارج السالكين ، هذبته (عبد المنعم العربي)، دار التوزيع والنشر الإسلامية القاهرة 292)

- إن من متطلبات الإخلاص في العمل ، أدائه بصورة جيدة فالإخلاص لله في العمل ومراعاة الدقة في تنفيذه

من أبرز أسرار نجاحه ، ومتى صدر العمل عن نية صادقة وشعور مخلص ، أدى إلى أن يدأب العامل على

مواصلته دون سآمة أو ملل وأفضى إلى رفع كفاية الإنتاج¹⁷

ويعد الإتيان مظهراً من مظاهر الإخلاص في العمل وهو لا يقتصر في الإسلام على عمل دون آخر ، بل هو

مطلوب في كل عمل من أعمال الدين والدنيا¹⁸

- ولما كان العلم عبادة ، فقد لزم إخلاص النية فيه ، كشرط للقبول عند الله عز وجل ، كما أن الإخلاص

باعث على إتقان العمل وتفاني المعلم في أداءه للارتقاء نحو الأفضل¹⁹

- وحذر الرسول من صرف مقصد التعليم لغير الله بقوله: " من تعلم علماً مما يُبتغى به وجه الله لا يتعلمه إلا

ليصيب به عرض الدنيا، لم يجد عرف الجنة يوم القيامة"²⁰

17 - (البقري، أحمد ماهر 1980 : العمل في الإسلام، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية45)

18 - (إبراهيم ، مفيدة 1997 : القيادة التربوية في الإسلام ، دار مجدلاوي ، عمان 403)

19 - (صالح، معين1989 : الفكر التربوي عند الشوكاني ، رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى309)

20 - (أبو داود ، الإمام الحافظ الأشعث الأزدي ب.ت.، سنن أبي داود ، مراجعة وضبط (محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ج3 : 323)

-وبناءً عليه أضحت الحاجة ماسة ، إلى إحياء مفهوم التعبد بالعلم في مؤسساتنا التعليمية بكل مراحلها ، لأن " غياب روح التضحية من أجل العلوم والمعارف ، كان نتيجة انحسار روح التعبد بالعلم لخدمة عباد الله ودينه ، وبذلك تخلف المسلمون اليوم في الناحية العلمية والتقنية .²¹

2-التزام الأمانة في أداء الأعمال :

-وصف الله عباده المؤمنين بقوله : " وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ " (المؤمنون، آية8) وجاء في التوجيه النبوي الشريف " أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك²²

وحت الرسول المعلم ﷺ على التناصح في العلم وحذر من الخيانة فيه بقوله : " تناصحوا في العلم فإن خيانة أحدكم في علمه ، أشد من خيائه في ماله وإن الله سائلكم يوم القيامة²³.

- واعتبر (ابن حجر) أن إتمام المعلم لعمله على أكمل وجه وأتم صورة من الأمانة العلمية²⁴

²¹ - (الجن ، مقدار 1999 :أساليب التوجيه والإرشاد في التربية الإسلامية، دار عالم الكتب ، الرياض 27)

²² - البيهقي ، أبو بكر أحمد بن الحسين 1989: شعب الإيمان، دار الكتب العلمية، بيروت ج1 : 71)

²³ - (الطبراني، سلمان بن أحمد أيوب أبو القاسم 1983: المعجم الكبير ،تحقيق حمدي السلفي، مكتبة العلوم والحكم ، الموصل ج1 : 270)

²⁴ - رجب ، مصطفى 1999 :مع تراثنا العربي، شخصيات ونصوص ، مكتبة كوميت ، القاهرة 215)

-ومن متطلبات التزام خلق الأمانة في أداء المعلم ، أن يبذل قصارى جهده في تعليم الأجيال وفق المواصفات العلمية والخلقية وأن يكون صادقاً مع غيره في قوله وعمله وعدم التهرب من إلقاء دروسه بأعداد مصطنعة وأن يستثمر كل وقت مخصص للعطاء ، فلا يضيع من ساعات الدروس أو المحاضرات وكذلك الالتزام في تنفيذ النظم واللوائح الخاصة بتنظيم الأمور التعليمية²⁵.

3-استشعار المسؤولية تجاه الأعمال

ما من شك في أن العامل الذي يستشعر معنى المسؤولية في كل ما يقوم به من عمل، نجده يحرص على التزام الدقة والإجادة في أداء واجباته، وجاء في محكم التنزيل "وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَكُلُّ سَائِلٍ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ" (النحل ، آية 93) فالإنسان محاسب عن عمله سواء أبداه للناظرين أو أخفاه فالله عز وجل مطلع على عمله وسيحاسبه عليه " وَإِنْ تَبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ " (البقرة ، آية : 284) .

-وكل عامل في أي موقع تعليمي ، هو راعٍ ومسئول لقوله ﷺ : " ألا كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته²⁶

²⁵ - (الجن: مقدار 1996 : الأخلاقيات الإسلامية الفعالة للمعلم والمتعلم ، وآثارها على النجاح والتقدم العلمي ، دار عالم الكتب ، الرياض 19 ، 20)

²⁶ - (مسلم ، الحجاج أبو الحسن ب.ت: صحيح مسلم ، تحقيق (محمد فؤاد عبد الباقي) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ج: 3 : 1459) .

-ومن الأمور التي يسأل عنها الإنسان يوم القيامة ، العلم الذي يحمله كما جاء في حديثه " لن تزول قدما

عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع خصال : عن عمره فيما أفناه وعن شبابه فيما أبلاه وعن ماله من أين

أكتسبه وفيما أنفقه وعن علمه ماذا عمل به " ²⁷.

4- توجيه المسلم إلى التماس العلم النافع

-الإيمان بطبيعته يستلزم العلم النافع بشموله ، الذي يزيد الإنسان صلة بالله عز وجل ويمكنه من القيام

بواجبات خلائقه في الأرض وعمران الحياة فيها .²⁸

ومقياس العلم النافع ليس ذلك الذي نراه ، مركزاً على الناحية المادية في الحياة، وإنما هو العلم الذي يصب في

مصلحة الأمة وإقامة الدين .²⁹

إن الجودة في التعليم تتطلب إعداد كل مامن شأنه تعهد النشء ورعايته بالزيادة والتنمية والتقوية ولأخذ به في

طريق النضج والكمال الذي تؤهله له طبيعته

²⁷ - (الألباني ، محمد ناصر الدين (ب.ت): الكتاب الجامع الصغير وزيادته ، المكتب الإسلامي ، عمان ج3 : 227)

²⁸ - (النجار ، زغلول راغب1981: أزمة التعليم المعاصر وحلولها الإسلامية ، الدار العالمية للكتاب الإسلامي ، الرياض 1-122)

²⁹ - (علي ، سعيد إسماعيل 1992: أهداف المدارس الإسلامية مجلة المسلم المعاصر ، تصدر عن مؤسسة المعاصر والمعهد العالمي للفكر

الإسلامي ، العدد (63) 101)

- وإعداد المرء ليحيا حياة متكاملة، ويعيش سعيداً، محباً ربه عاملاً لرفعة وطنه، قوياً في جسمه، متكاملًا في خلقه، منظمًا في تفكيره، رقيقاً في شعوره، ماهراً في عمله، متعاوناً مع غيره، يحسن التعبير بقلمه ولسانه، ويجيد العمل بيده

- إن الجودة في التعليم تهدف إلى تشكيل الشخصية السوية المتكاملة في جميع جوانبها روحياً وعقلياً ووجدانياً وخلقياً

وقد ربط الإسلام بين كافة جوانب العملية التربوية في سياق فريد بدءاً من اعتباره طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة مصداقاً لقول سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم-: " طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة" وانتهاءً بدعوته لنشره وتعميمه، وبين كذلك فضل العلم في قوله -تعالى-: " إنما يخشى الله من عباده العلماء" (فاطر 28

كذلك أتت الأحاديث الشريفة مؤكدة على ما ورد في القرآن الكريم، ومنها قوله -صلى الله عليه وسلم-: " إن الملائكة تضع أجنتها لطلاب العلم رضى بما يصنع". كما أن الإسلام ربط بين العلم وسعادة الآخرة حيث يقول الرسول -صلى الله عليه وسلم-: " من سلك سبيلاً يطلب به علماً سلك الله به طريقاً من طرق الجنة

وهذه الأدلة جميعها تأتي في سياق فضل العلم والتعلم في حياة الأمة، وتجدد الإشارة هنا إلى أن العلم الذي ينبغي

أن يسعى إليه الفرد المسلم لا يقتصر على العلوم النظرية، وإنما يشمل اكتساب المهارات المختلفة، وفقاً لمتطلبات

العصر، وبما يتلاءم مع خصائص المجتمع وأنماط الحياة فيه، كما حمل الإسلام المسؤولية لولاة الأمر والأبوين في توفير

فرص التعليم، وهذا يأتي انسجاماً مع حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: "كلكم راع وكلكم مسؤول عن

رعيته" وقوله أيضاً: "من تعلم علماً ولم يعلمه لجم بلجام من النار يوم القيامة"، في إشارة واضحة لتحقيق حرية

التعليم التي أصبحت اليوم من أهم الشعارات التربوية التي ينادي بها المربون في عصرنا الراهن، في الوقت الذي سبق

الإسلام هذه الدعوة بمئات السنين

المعلم الثاني: الموازنة بين احتياجات المتعلم

كذلك فقد أكدت التربية الإسلامية على تحكيم العقل والتفكير والنظر في مختلف العلوم، لهذا فقد وازنت التربية

الإسلامية بين حاجات المتعلم الروحية والمادية والاجتماعية مصداقاً لقوله -تعالى-: "وابتغ فيما أتاك الله الدار

الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا". (القصص، 77).

ومن المعايير الهامة التي تقوم عليها التربية الإسلامية تحديد أثرها في تربية الإنسان لبلوغ الصلاح والفلاح والفضيلة
وكمال النفس عن طريق العلم، الذي ينمي في الإنسان المسلم ضميراً حياً، يحسن توجيه عمله إلى الأفضل لقوله -
تعالى:- "إنما يخشى الله من عباده العلماء". (فاطر، 28).

لذلك فهي تربية تسمو بالإنسان وتعلي من شأنه، لقوله -تعالى:- "ولقد كرّمنا بني آدم" (الإسراء، 70) ويقضي
السمو إعلاءً لغرائز الإنسان، حتى لا يكون عبداً لها، وطريقة الإسلام في ذلك تقوم على أساس وضع معايير
وأهداف عليا للحياة الإنسانية، بما تشتمل عليه من تفاعلات وأعمال لتكوين الإرادة القوية، بحيث يعود الإنسان
على القيام بأعماله بصورة متقنة وصالحة، بما يعود بالنفع على الفرد والأمة.³⁰

المعلم الثالث: الاستمرار والتجديد

لهذا أكدت التربية الإسلامية على استمرارية التربية، واعتبرتها عملية ممتدة تسع آفاقها وأبعادها لتحقيق النمو
المتكامل في شخصية الفرد .

³⁰ - (مرسي، محمد منير 1992 : فلسفة التربية ، اتجاهاتها ومدارسها ، القاهرة : عالم الكتب 26)

ومن أبرز معالم التربية الإسلامية أنها تجديدية وليست تقليدية جامدة، فهي تعترف بالتغيير والتطور، حيث حذر

الرسول الكريم من أن يكون الفرد المسلم منقاداً عديم التفكير، بل عليه أن يوجه عقله

وتفكيره للبحث في أسرار الكون واكتشاف كنهه، عملاً بالحديث الشريف: "كونوا للعلم دعاة ولا تكونوا رواة"³¹.

وقول علي بن أبي طالب كرم الله وجهه " علموا أولادكم غير ما علمتم فإنهم خلقوا لزمان غير زمانكم"

وهذا ما يؤكد على أن التربية الإسلامية تتصف دوماً بالتجدد لتواجه متطلبات العصر، واحتياجات المجتمع

الإسلامي في كل زمان ومكان. وفي إطار السياق ذاته دعت التربية الإسلامية إلى تجويد العملية التربوية وإتقانها،

لما فيه مصلحة الفرد والأمة، ولكي تتحقق سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة، وقد احتلت خاصية التجويد

والإتقان جزءاً من مقومات السلوك الإنساني في أقواله وأعماله، وجاءت الدعوة للتجويد انسجاماً مع قوله -تعالى-

: "الذي أحسن كل شيء خلقه" (السجدة، 7).

لذا يقرر الماوردي أن التربية الإسلامية تهدف إلى إعداد الفرد للدنيا والآخرة على حد سواء³².

³¹ - الكيلاني، ماجد عرسان: أهداف التربية الإسلامية، مكتبة التراث، المدينة المنورة، 1، 48.

³² - الكيلاني، ماجد عرسان: أهداف التربية الإسلامية، مكتبة التراث، المدينة المنورة

كما يمتاز الفكر الإداري الإسلامي عن غيره باستناده على القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وبما يحملانه من ثواب وحسن ربط بين الدين والدنيا ، وتأكيده على أهمية العمل وتجويده في حياة المسلم وفقاً لأعلى المعايير تلبية لتعاليم ديننا الحنيف بإتقان العمل وجودته وتحقيقاً لأعلى درجات العلاقة مع الله وهي الإحسان وهو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك وهذه العلاقة لو وضعها كل واحد منا نصب عينه لما احتاج إلى من يراقبه أو يشرف عليه إلا من باب تطلعه الذاتي إلى أعلى درجات الإتقان والكمال.

إن العناية بإيضاح مفهوم جودة التعليم وتطبيق معاييرها يهدف إلى أن يصبح المتعلم قادراً على المنافسة متمكناً من معطيات التغيرات المختلفة في ظل العولمة والتكيف معها والمحافظة على الثوابت والقيم الاجتماعية . وإكساب

الطلاب مهارات التعلم الذاتي لمواجهة ظاهرة تفجر العلوم والمعارف وانعكاساتها . وتلبية احتياجات خطط

التنمية في توفير الموارد البشرية الماهرة ذات الكفاءة العالية القادرة على تزويد الطلاب بالمعارف والمهارات

واستثمار الطاقات الطلابية والمواهب المختلفة بإتاحة الفرصة لها عن طريق تنمية الإبداع والابتكار وممارسة

الأنشطة وفق رغبات وميول الطلاب أنفسهم . وإيجاد شخصية متزنة مؤمنة بالله تعالى قادرة على التواصل

والتفاعل مع مختلف مجالات الحياة وقادرة على تحديد الهدف والتخطيط لكيفية تحقيقه . وتوفير الإمكانيات

اللازمة لتنفيذ المناهج المستحدثة وممارسة الأنشطة وتطوير طرق التدريس ونظم الامتحانات بما يدعم التعليم

الحواري والاستنتاجي .

أن القضية الجوهرية تكمن في علاقة التفاعل بين أداء النظام التعليمي وأداء المتعلم، وفي مدى توظيف نواتج هذه

العملية في سلوك واقعي في الحياة اليومية والمهنية . فالإتجاه الذي يركز على فاعلية أداء النظام التعليمي مثل

معدلات الإنفاق، وقبول الطلبة، ومعدلات النجاح . . . يكون قد أهمل عناصر أساسية غير منظورة في المعادلة:

مثل نوعية التعليم، ومدى تلبيةه لحاجات الأفراد والمجتمع، ومتطلبات التنمية الاقتصادية والاجتماعية من أطر

ومهارات . وكذلك الإتجاه الذي يركز على فعالية أداء المتعلم، مثل معدل الذكاء، وقوة الذاكرة، ومعدل النجاح،

ومعدل التحصيل يكون قد أهمل عناصر أساسية أخرى غير منظورة في المعادلة وهي مدى قدرة هذه الأمور على

إحداث تغيير حقيقي ومستمر في سلوك المتعلم، ومدى قدرته على توظيف حصيلته الأكاديمية في حل المشكلات

التي تواجهه في حياته العامة والمهنية، وبالتالي قد لا يكون الهدف النهائي للنظام التعليمي - التغيير في سلوك المتعلم -

قد تحقق فعلاً، بل ما تحقق هو تغيير في كمية المعارف المخزنة عمداً التي قد يستخدمها وقد لا يستخدمها في حل

المشكلات التي تواجهه أو تواجه مجتمعاته .

الفصل الرابع

مباحث جودة التعليم في ضوء الإسلام

أولاً: جودة الأهداف

ثانياً : جودة المحتوى

ثالثاً: جودة طرق التدريس

الفصل الرابع

محاو؁ جودة التعليم في ضوء الإسلام

إن قوة الأمم ومكاتها تقاس بقوة أبنائها ومقدرتهم على تحسين واقعهم وبناء مستقبلهم في ظل المنافسة المتنامية التي يعيشها العالم بفعل الكثير من المتغيرات التقنية والاقتصادية والثقافية وبذلك يتعاظم دور العنصر البشري الكفء القادر على توظيف إمكاناته وقدراته في مواجهة مشكلات الحاضر وصد تحديات المستقبل والتخطيط لمواجهةها . ويمثل التعليم الجيد أهم العناصر التي تهئ الأفراد وتزودهم بالمعارف والمهارات والقدرات اللازمة للمشاركة في رسم مستقبل الأمة وتحديد مكاتها في مجال المنافسة الدولية في مختلف الميادين وهكذا يعد التغيير في السلوك النهائي للمتعلم أهم هدفٍ من أهداف الأنظمة التعليمية في ضوء ديننا ومبادئه السامية .

المحور الأول: جودة الأهداف

لقد حرصت التربية الإسلامية على الارتقاء بأهداف التربية بغية انسجامها مع الهدف السامي الأعلى، تلبية لتوجيهات الخالق -عز وجل- واستجابة لحاجات الأفراد والأمة في منظومة متكاملة متوازنة، ومن أبرز المعايير التي خضعت لها أهداف التربية الإسلامية والتي تم استنباطها وزودتنا بها المصادر التربوية ما يلي:

- 1- نبغي للأهداف أن تكون واقعية قابلة للتحقيق وفقاً لقدرات واستعدادات المتعلمين، وبما يتيح المجال لإطلاق طاقاتهم وقدراتهم الإبداعية، مصداقاً لقوله -تعالى-: " لا تكلف نفساً إلا وسعها". (الأعراف، 42)
- 2- أن تكون الأهداف شاملة لكافة جوانب شخصية المتعلم الجسمية والعقلية والانفعالية والخلقية والروحية والاجتماعية مصداقاً لقوله -تعالى-: " ما فرطنا في الكتاب من شيء ". (الأنعام، 38).
- 3- أن تؤكد على الربط بين الجوانب النظرية والعملية في عملية توازن وفقاً لحاجات الأفراد والمجتمع، مصداقاً لقوله تعالى:-: " يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون" (الصف، 2) وقوله -تعالى-: " ومن أحسن قولاً مما دعا إلى الله وعمل صالحاً" (فصلت، 33)

وقوله -تعالى-: " وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون " (التوبة،105) . يقول الإمام الغزالي " لا بد

أن يطبق الطالب ما تعلمه، لأن العلم بلا عمل جنون، والعمل بغير علم لا يكون"³³

كذلك الأمر فإن علماء التربية المسلمين أكدوا على ضرورة الربط بين العلم والعمل ومنهم أبو حنيفة والشافعي

والغزالي وابن جماعة وغيرهم.³⁴

4- أن تؤكد على استمرارية التعلم وتعزيز قدرات المتعلم على التعلم الذاتي. كذلك وضع الإمام الزرنوجي كتاباً

خاصاً في أساليب التعلم الذاتي سَمَّاه " تعليم المتعلم طريق التعلم " بحيث يرشد المتعلم إلى الأساليب التي تمكنه

من التعلم الذاتي بالقراءة والاستماع والمحاورة والمناقشة، والتعلم التعاوني، وربط التعلم بالعمل. وقال الإمام أبو

حنيفة لتلميذه أبي يوسف: " من ظن أنه يستغني عن التعليم يوماً فليبك على نفسه"³⁵ .

³³ - الكيلاني ، ماجد عرسان: : أهداف التربية الإسلامية ، مكتبة التراث ، المدينة المنورة 1 ، 171)

³⁴ - الكيلاني ، مصدر سابق ، 1 ، 92)

³⁵ - (الشيباني، عمر محمد التومي 1985، الفكر التربوي بين النظرية والتطبيق ، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان ، طرابلس 50) .

5- أن تؤكد الأهداف على إثارة التفكير العلمي والبحث والاستقصاء، مع الحرص على تحرير عقل الفرد من

الخرافات، والدعوة إلى التفكير والبحث والاستقصاء تأتي انسجاماً مع الآية الكريمة " قل انظروا ماذا في السموات

والأرض وما تعني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون " (يونس، 101) .

وقوله تعالى " يتفكرون في خلق السموات والأرض " (آل عمران، 191) . وحول نبذ الخرافات عن ابن عباس -

رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:- " تفكروا في كل شيء ولا تفكروا في ذات الله

" . ويقول جل جلاله:- " وإن كثيراً ليضلّون بأهواءهم بغير علم " (الأنعام، 119)،

وقال -تعالى- في محكم التنزيل: " قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهوائهم بعد الذي جاءك من العلم

مالك من الله من ولي ولا نصير " (البقرة، 120) .

ويقول المصطفى صلى الله عليه وسلم:- " إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا حياة أحد فإن رأيتم

فادعوا الله " وقال أيضاً " من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة " .

6- أن تكون الأهداف مفتوحة النهاية قابلة للتطوير وفقاً للمستجدات والمتغيرات بما ينسجم مع حاجات الأفراد

والمجتمع والأمة لمساعدتها في تحقيق التنمية ومعالجة مشكلاتها، وهذا ينسجم مع الآية الكريمة " إن الله لا يغير ما

يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم" (الرعد، 11). ولعل أداة التغيير الوحيدة الأساسية هي التعليم الذي يتيح المجال

لتعزيز الأمة. ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم:- "إن الله يبعث لهذه الأمة كل مائة عام من يجدد لها دينها

7- أن تؤكد الأهداف على استثمار حواس المتعلم في عملية التعليم مصداقاً لقوله -تعالى-: " هو الذي أنشأكم

وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون " (الملك، 23) وقوله -تعالى- "وعلم بالقلم" (العلق، 4).

8- ينبغي أن تؤكد الأهداف على تعزيز شخصية الفرد واعتزازه باتمائه الإسلامي واحترام ذاته، مع التأكيد على

البعد الأسمى في رسالة الإسلام، ويأتي هذا انسجاماً مع الآية الكريمة " ولقد كرّمنا بني آدم " (الإسراء، 70)

وقوله -تعالى-: " كنتم خير أمة أخرجت للناس " (آل عمران، 110)

وقوله تعالى " وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً " (سبأ، 28) .

9- أن تؤكد الأهداف على مبادئ العدل والمساواة واحترام إنسانية الإنسان، ويأتي هذا انسجاماً مع قوله -

تعالى-: " أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين" (يونس، 99) وقوله -تعالى-: " لا إكراه في الدين " (البقرة،

256). وقوله -تعالى-: " اعدلوا هو أقرب للتقوى " (المائدة، 8). وقوله -تعالى-: " ولقد كرّمنا بني آدم " (

الإسراء، 70) وقوله -تعالى-: "إنما المؤمنون إخوة" (الحجرات، 10) وقوله -تعالى-: "أدع إلى سبيل ربك

بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن" (النحل، 125).³⁶

10-التأكيد على تنمية الوعي البيئي والتفاعل الإيجابي مع مكونات البيئة المحلية واستثمار موجوداتها والحفاظ

عليها. تأكيداً لقوله تعالى " هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور "

(الملك، 15).

وقوله تعالى " وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم" (الحجر، 21). وقوله تعالى " ثم

جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لنتظر كيف تعملون" (يونس، 14) وقوله تعالى " ولا تسرفوا إن الله لا

يحب المسرفين " (الأعراف، 31) ويؤكد على عدم الإفساد بقوله " ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب

المفسدين" (القصص، 77) وقوله تعالى " ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معاش قليلاً ما تشكرون" (

الأعراف، 10) وقوله تعالى " ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها " (الأعراف، 56).

³⁶ - (ريان، فكري حسن (1984): التدريس - أهدافه أسسه أساليبه تقويم نتائجه وتطبيقاته , عالم الكتب , القاهرة ، 64)

ومن الجدير ذكره في هذا المقام ، أن تجويد التعليم وتحسينه بما يكفل تميز المنتج ، عملية طموحة ومستمرة لا تتوقف ، ذلك أن الفرد المسلم مطلوب منه تسديد الأعمال بصورة دائمة يحبها الله عز وجل ويتضح ذلك من خلال التوجيه النبوي الشريف " سدّدوا وقاربوا واعلموا أنه من يدخل أحدكم عمله الجنة وأن أحبّ الأعمال أدومها وإن قل " ³⁷

فالسداد كما جاء في الحديث الشريف السابق هو حقيقة الاستقامة ، وهو يعني الإصابة في جميع الأقوال والأعمال والمقاصد ، فالسداد إصابة السهم والمقاربة ، أن يصيب ما قرب من الغرض إذا لم يصب الغرض نفسه ولكن بشرط أن يكون حريصاً ومصمماً على قصد السداد وإصابة الغرض فتكون مقاربه من غير عمد . ³⁸

ترجم الأهداف التربوية في مضامين علمية تشكل في مجموعها حقائق ومعلومات وبيانات ومهارات ومفاهيم ومشكلات، لهذا فإن عملية اختيار المحتوى لا يمكن أن تتم بمعزل عن الأصول التي يتم الاستناد عليها في عملية

³⁷ - (البخاري، محمد بن إسماعيل (1987) : كتاب الجامع الصغير المختصر ، تحقيق (مصطفى البغا) ، دار ابن كثير ، بيروت، ج5 : 2373)

³⁸ - (النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف 1968، شرح النووي على صحيح مسلم ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ج11 : 162)

تحديد الأهداف، لا سيما وأنها تعبر عن النهايات التي ينشد وصول المتعلم إليها بعد مروره بالخبرات التعليمية المخططة، التي يشملها المحتوى التعليمي .

وقد عرف مذكور المحتوى التعليمي الذي تتحقق من خلاله أهداف التربية الإسلامية بأنه " مجموع الحقائق والمعايير والقيم الإلهية الثابتة، والمعارف والخبرات والمهارات الإنسانية المتغيرة التي يمر بها المتعلم ويتفاعل معها³⁹ .

في ضوء ذلك فإن المعرفة التي ينبغي أن يتضمنها المحتوى التعليمي تشمل المجالات التالية:

- 1 - معرفة مرتبطة بالكون وما فيه من ظواهر وأحداث طبيعية مستمدة من القرآن الكريم.
- 2 - معرفة تتعلق بالإنسان من حيث علاقته بالكون المحيط به وخصائص نموه في كافة المجالات.⁴⁰

من هنا فلا بد للمحتوى التعليمي كي يؤدي دوره بنجاح في العملية التعليمية أن يخضع لجملة من المواصفات التي تضمن جودته وبما ينعكس إيجابياً على الفرد الذي هو الهدف السامي للعملية التعليمية.

³⁹ - (ريان، مصدر سابق، 322)

⁴⁰ - (نشوان، يعقوب (1991) : المنهج التربوي من منظور إسلامي ، عمان : دار الفرقان للطباعة والنشر والتوزيع 212)

1- أن يتصف المحتوى بالشمول والتوازن، ويقصد بالشمول كافة مجالات التعلم من معارف ومهارات، ونظريات وقيم

واتجاهات، مصداقاً لقوله -تعالى-: " ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء " (النحل، 89) .

وينبغي أن يتم ذلك في إطار من التوازن بين العلوم الدنيوية والأخروية، فالتربية الإسلامية ترفض النظرة الثنائية إلى

الطبيعة الإنسانية، والتي تقوم على التمييز بين الجسم والعقل، وإنما تنظر للإنسان نظرة متكاملة شاملة لكافة جوانب

شخصيته، فكل جانب من جوانب الشخصية يؤثر في الجانب الآخر.⁴¹

وتتأتى خاصية التوازن انسجاماً مع قوله -تعالى-: " وكذلك جعلناكم أمة وسطاً " (البقرة، 143) .

وقوله -تعالى-: " وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا " (القصص، 77) .

يقول الماوردي في كتابه "أدب الدين والدنيا": "واعلم أن كل العلوم شريفة، ولكل منها فضيلة، والإحاطة بجميعها

محال⁴² .

⁴¹ - (مرسي، محمد منير، 1992، فلسفة التربية، اتجاهاتها ومدارسها، القاهرة: علم الكتب، 252)

⁴² - (الماوردي، علي بن محمود: أدب الدين والدنيا، تحقيق (مصطفى السقا) مكتبة الحلبي، القاهرة، 263)

ويرى ابن تيمية ضرورة التكامل بين العلوم الدينية والعقلية، مع التأكيد على احتواء المنهاج على ميادين مختلفة من العلوم الصناعات والمهن⁴³.

فما دام المحتوى التعليمي منسجماً مع الأهداف، فإن الهدف العام للتربية الإسلامية لم يستثن جانباً واحداً من جوانب شخصية الفرد من النواحي الفكرية والعقلية والوجدانية والاجتماعية والجسدية والجمالية والحلقية، بل تحرص التربية الإسلامية على تزويده بالاتجاهات والمعارف والقيم والخبرات اللازمة، وهذا بالطبع لا يتنافى مع المفهوم العصري للتربية الذي يتبنى مفهوم " الشجرة التعليمية" في المناهج الدراسية. كما دعا ابن خلدون إلى أن يأخذ المتعلم من كل فن بطرف حسب قدراته واستعداداته⁴⁴.

2- أن يكون المحتوى التعليمي مرتبطاً بالأهداف التي ينشدها الفرد والأمة، والتي تتم صياغتها في إطار النظام التعليمي العام، وأي إخلال في هذا الأمر هو بمثابة انتقاص من المفهوم الشمولي للتربية الإسلامية ومتطلباتها، لهذا ينبغي على معد المحتوى التعليمي أن يتحرى الإتيان في عمله، عملاً.

⁴³ - (الأنسي وزميله، 1989، مشاهير الفكر التربوي عبر التاريخ، مكتبة إحياء التراث الإسلامي (342)

⁴⁴ - (المصدر السابق، 352)

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم:- " إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه "، كذلك الأمر ينبغي أن يكون القائم على إعداد المحتوى التعليمي على قدر المسؤولية والأمانة وأن يكون متخصصاً في هذا المجال مصداقاً لقوله -تعالى-: " ولا تقف ما ليس لك به علم " (الإسراء، 36) . وأي تقصير يعد خيانة لله ولرسوله وللمؤمنين ، لهذا فقد حذر الله -سبحانه وتعالى- من التفريط أو التقصير بقوله -سبحانه وتعالى-: " يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون " (الأنفال، 27) .

ولما كانت التربية تهدف إلى تحقيق سعادة الفرد المسلم في الدارين ، فإن تحقيق سعادة الآخرة وثيقة الصلة بالمجتمع الديني، ولهذا فإن التعليم ينبغي أن يكون وثيق الصلة بمجالات المجتمع، بحيث يسعى لإعداد أفراد يجتهدون في تحقيق حياة اجتماعية تتوفر فيها متطلبات الحياة الدنيا⁴⁵ .

وليس أدل على خاصية شمول المحتوى للأهداف من الآية الكريمة " وأنزلنا إليك الكتاب تبياناً لكل شيء "

(النحل، 89)

⁴⁵ - (الكيلاني، مصدر سابق 1، 158)

وقوله -تعالى- " أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً " (المؤمنون، 115) وقول الرسول -عليه الصلاة والسلام-: " إنما

الأعمال بالنيات " وقد ربط الإمام الشافعي موضوعات المنهاج بأهداف واتجاهات وقيم محددة⁴⁶

3-مراعاة محتوى التعليم لقدرات واستعدادات المتعلمين، فالله -سبحانه وتعالى- خلق البشر متفاوتين في قدراتهم

واستعداداتهم، وهذا ينبغي للمحتوى التعليمي أن يراعيه وإلا خرج عن مساره وفقد قيمته وقدرته على تحقيق

الأهداف المنشودة، فالمحتوى يجب أن يكون منسجماً مع الفروق الفردية للمتعلمين دون تعجيز مصداقاً

لقوله -تعالى-: " لا يكلف الله نفساً إلا وسعها " (البقرة، 286) وقوله -تعالى-: " لا نكلف نفساً إلا وسعها "

(الأعراف، 42).

وقوله -تعالى-: (لا يكلف الله نفساً إلا ما أتاها " (الطلاق، 7). وفي هذا الصدد يحذر الإمام الغزالي من عدم

مراعاة استعدادات المتعلم . ويدعو إلى مراعاة مستوى المتعلم ليس فقط في تقديم الخبرات، وإنما في الإجابات عن

الأسئلة التي يطرحها⁴⁷

⁴⁶ - (الكيلاني، مصدر سابق 1، 91)

⁴⁷ (الكيلاني، مصدر سابق 1، 171)

وقد أكد إخوان الصفا على وجود الفروق الفردية بين الأفراد في الطباع والقدرات والاستعدادات، ونادوا بضرورة

مراعاتها في التعليم ، وأخذ الإمام الغزالي بالفروق الفردية بين المتعلمين، ونادى بضرورة مراعاة ذلك، فهو يرى أن

من أدب المعلم "أن يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه فلا يلقي عليه ما لا يبلغه عقله"⁴⁸

والدليل على ذلك أيضاً حديث الرسول -عليه الصلاة والسلام-: " نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن ننزل الناس

منازلهم ونكلم الناس على قدر عقولهم"⁴⁹.

كما أكد ابن خلدون على ضرورة مراعاة استعدادات وقدرات المتعلم بقوله: " وإذا أقيمت عليه الغايات في

البدايات وهو حينئذ عاجز عن الفهم والوعي وبعيد عن الاستعداد له كل ذهنه عنها وحسب ذلك من صعوبة

العلم نفسه فتكاسل عنه وانحرف عن قبوله وتمادى في هجرانه"⁵⁰

4-ربط المحتوى التعليمي ببيئة المتعلم، على اعتبار أن المحتوى التعليمي ينبغي أن يوظف بيئة المتعلم في عملية

التعليم، كذلك الأمر لمساعدة المتعلم في اكتشاف بيئته، ومعرفة متغيراتها واستثمار مكنوناتها لصالحه في الحياة

⁴⁸ - (دخل الله، أيوب 1996،: التربية الإسلامية عند الإمام الغزالي ، بيروت : المكتبة العصرية 268)

⁴⁹ - (دخل الله أيوب) المصدر السابق، (275)

⁵⁰ - (ابن خلدون عبد الرحمن (ب. ت) : المقدمة ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة، 552)

الدنيا، وبما لا يتعارض مع مبادئ التربية الإسلامية. فالله سبحانه وتعالى - قال: " إني جاعل في الأرض خليفة"

(البقرة، 30)

وقال -تعالى- أيضاً: " ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون " (الأعراف، 129)

وقال -تعالى-: " وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً " (الجمانية، 13) ويمكن أن يتم ذلك من

خلال ضرب الأمثلة من بيئة المتعلم كما دعا لذلك ابن جماعة وابن خلدون، وقد أضاف هذا البعد في المحتوى

التعليمي تلميذ أبي حنيفة محمد بن الحسن الشيباني وهو أن العلم يجب أن يكون وثيق الصلة بالحياة، لأن الشريعة

جاءت لتعالج الحياة لا تعزلها⁵¹.

ودعت إلى الربط بين المتعلم وبيئته، لكي ينظر الإنسان في ملكوت الله ويتفكر ويستنتج ويصل إلى الحقائق بنفسه،

مصدراً لقوله -تعالى-: " إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار آيات لأولي الأبصار "

(آل عمران، 190)

وقوله -تعالى-: " أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها" (ق، 6)

⁵¹ - (الكيلاني، مصدر سابق ، 1 ، 90)

وقوله في مجال الاقتصاد في استثمار مصادر البيئة: " ولا تسرفوا إنه لا يجب المسرفين " (الأنعام، 141).

ويرى الإمام الغزالي أن السعادة الأخروية وثيقة الصلة بالحياة الدنيا، ولهذا فهو يرى أن يكون التعليم وثيق الصلة

بالحياة الدنيا وبمخارج المجتمع، بحيث يعمل على إعداد الأفراد في تحقيق الحياة الاجتماعية التي تتوفر فيها

وتتناسق فيها متطلبات الحياة الكريمة .

5- مراعاة المحتوى التعليمي للمستجدات والمتغيرات والتطورات التي تحدث في المجتمع، والانفتاح على المعرفة

والتميز في إنتاجها واستهلاكها. فقد دعا الغزالي إلى الانفتاح على العلوم أياً كانت بموضوعاتها، واستنكر التقليد

والجمود، واعتبر أن التقليد نتيجة الضعف العقلي وقلة البصيرة، ويرى أن الذين يدعون إلى التقليد بحجة أن التعمق

في البحث والإطلاع على العلوم والعقائد الأخرى أدى إلى الانحراف عن العقيدة يخطئون في تفسيرهم هذا، لأن

سبب الانحراف ليس مصدره الانفتاح والإطلاع، وإنما يعود سببه إلى فساد الاتجاه⁵² .

ويقول ابن جماعة " فإن لم يجد الطالب من يذاكره ذاكر بنفسه وكرر ما سمعه ولفظه على قلبه ليعلق ذلك على

خاطره " 53

52 - (الكيلاني، مصدر سابق، 1، 172)

53 - ابن جماعة، بدر الدين : تآكراة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم : دار الكتب العلمية، بيروت 83

ويقول ابن خلدون "مؤكداً على التعلم بالاكشاف وتفريع المسائل واكتشاف الأدلة والأنظار فإن ذلك يزيد طالبها تمكناً في ملكته وإيضاحاً لمعانيها المقصودة"⁵⁴ .

وجودة المنهج تعني: "توفر خصائص معينة في المناهج المدرسية بحيث تنعكس تلك الخصائص على مستوى

الخريجين، وهو ما يشير إلى أهمية وجود تخطيط متقن يستند لمعايير الجودة ويستتبع ذلك تنفيذ التخطيط بشكل

دقيق في ظل متابعة دائمة ومستمرة" وتؤكد في هذا السياق ضرورة تجنب العشوائية والبعد عن القرارات

الفردية، فجودة المنهج في هذا الإطار تعني "تعلماً من أجل التمكن وأن الجودة في المناهج تعني "التعلم للتميز"،

وهذا أيضاً يتحقق عند مراعاة معايير الجودة بالنسبة للمناهج والمتعلم، وذلك لأن مفتاح الابداع هو التميز وهذا ما

نريد تحقيقه في عصر العولمة كي تأخذ أمتنا مكانها الذي اختاره الله لها في قيادة العالم وريادته

54 - (لكيلاني، مصدر سابق ، 555)

المحور الثالث: جودة طرق التدريس

إن الاهتمام بجودة طرق التدريس ووسائل وأساليب التقييم التي يجب أن تكون أولويتها دائماً العمل على تحقيق التحسن المستمر في عمليتي التعليم والتعلم الموجه إلى تحقيق التحسن في قدرات ومهارات الطلاب على نحو متواصل وذلك منذ سنوات الدراسة الأولية سيجبنا الهدر الهائل في الموارد فيما بعد . لقد ظهرت طرق حديث من طرائق التدريس والدراسة تعمل على الربط المباشر بين الوسيلة وتحقيق الهدف هذه الطرائق تركز على عمليات التفاعل الحي والمستمر بين النظام التعليمي والمتعلم في إطار التفاعل مع البيئة المحيطة، مثل التركيز على أسلوب التفكير الحر الناقد والتفكير العلمي والمنطقي، والتركز على حل المشكلات العملية التي تواجه المتعلم نفسه، والتعلم عن طريق التمحيص والاستقصاء، وعن طريق الحدس والاستدلال، والاختبار والتجريب للوصول إلى الحقيقة. كل ذلك لإحداث توازن بين طرائق تحصيل المعارف والمعلومات (التي لها غالباً طابع نظري) وطرائق استثمار واستخدام هذه الحصيلة (التي لها غالباً طابع عملي تطبيقي) وكل هذه الطرق لها أسس في النظام التعليمي الإسلامي الذي يقيس فاعلية أداء المتعلم في مدى قدرته على استثمار واستخدام المعارف والمعلومات

المحصلة وتطبيقه وليس بمدى قدرته على تخزينها واستذكارها ألم يكن الصحابة لا يتجاوزون العشر آيات حتى يعملوا بها فتعلموا العلم والعمل،

إن الاتجاه نحو معايير الجودة في التدريس واستخدام هذا المصطلح في الوقت الراهن له جذوره في الثقافة الإسلامية تؤكد وتدعو إليه وتدعمه حتى قبل أن يطرح هذا المصطلح باعتباره مصطلحاً عصياً، بمعنى أننا سنستدل على أنه لا تعارض بين الأصالة والمعاصرة إذ أنهما يتفاعلان ويلتقيان ليؤكد أن معايير الجودة الأصيلة والمعاصرة في التدريس هي معايير واحدة يسعى المعلم لاستغراقها، ويحقق أهدافه في ضوئها.

تذخر الثقافة الإسلامية بدلالات عديدة لمفهوم الجودة في التدريس تجعله أصيلاً وتدعم معاصرته ومن المفاهيم الإسلامية في هذا السياق ما يلي:

(1) مبدأ الإحسان: وهو في أحد معانيه أداء الواجب على أحسن صورة ممكنة

(2) مبدأ الإتيان: أي أداء العمل بشكل دقيق وصحيح وسليم لا يشوبه أي قصور أو نقص، ، لذا فالجودة مفهوم

أصيل ومعاصر، ومعايير إتيان التدريس هي معايير جودته.

(3) مبدأ الإصلاح: وهو تقيض الإفساد، أي إتيان الإصلاح والابتعاد عن الإفساد، والابتعاد عن الإفساد هو إتمام

للعمل وصلاحه، والمسلم الحق لا يستهدف إلا الإصلاح "إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت" (هود 88)،

والإصلاح يعني التميز والاكتمال، ومعايير جودة التدريس لا تعني أكثر من أن يكون متميزاً مكتملاً.

(4) مبدأ الشورى: والشورى تعني الاستفادة من رأي الآخرين للوصول بالعمل إلى أفضل صورة، فرؤية العمل في أفضل

صورة هو تاج لعمل جماعي تشاوري أخذ فيه بأفضل ما لدي الجماعة لأنه أفضل مما لدى فرد واحد. والشورى

من أهم مبادئ الإسلام ومفاهيمه حيث أمرنا به في قوله تعالى: "وشاورهم في الأمر" (آل عمران 159) وأفضل

صورة للعمل تعني جودته واستيفاءه للمعايير المتفق عليها، من هنا فمعايير جودة التدريس لا بد أن تكون تلك التي

يتفق عليها خبراء الميدان من خلال استنادها إلى الأسس العلمية للتدريس.

(5) مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: والمعروف هو كل فعل أو قول أو قصد حسن شرعاً - وضده المنكر

وهو كل فعل أو قول أو قصد قبيح شرعاً، معنى هذا الدعوة إلى الخير والحث على عمل كل ما هو أفضل للإنسان،

والعمل الخير وتحقيق الأفضل للإنسان عمل لا بد أن يتصف - بالضرورة - بالجودة وحسن العطاء، ولهذا خاطبنا

المولي عز وجل بقوله "كنتم خير أمة أخرجت للناس، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله" (آل عمران

(110) . إذن تحقيق الخير والفضل في التدريس لا يعني سوى الإتيان والجودة.

(6) مبدأ الإخلاص في العمل: وهو مفهوم يؤكد أن إتمام العمل أمر لا بد أن يخلص فيه الإنسان ويعطيه جل

اهتمامه، ويسعى إلى تصويبه واعتداله حتى يقبله الله منه ولا يحاسبه على التقصير فيه وعدم الإخلاص، فكأنه

يوجهنا إلى إعطاء العمل كل ما لدينا من جهد أياً ما كانت متطلباته من الإنسان جهداً وتعباً حتى يقبله الله، لأن

الله لا يقبل إلا الطيب من الأعمال أي الجيد من الأعمال، وبهذا المعنى تصبح معايير الجودة في التدريس دواعي

تدعونا لتحقيقها امتثالاً للإخلاص في العمل، ذلك أنه لكي يصبح التدريس على صواب واعتدال لا بد من معايير

لجودته لأن ما هو على صواب فهو جيد خال من النقص والقصور.

(7) مبدأ العمل: ينظر الإسلام إلى العمل على أنه المقياس العادل لتحديد مصير الإنسان في الدنيا والآخرة،

والميزان الذي توزن به أقدار المسلم من حيث ما قدم من عمل يؤدي به واجبه نحو الله ونحو الناس، ولذلك حثنا

الإسلام على العمل، وفي ضوء تعاليمه يكون عملاً حسناً صالحاً متقناً يجلب الخير، ويتبدى ذلك في قول الرسول

ﷺ: "إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليغرسها" وتاجها سوف لا

يكون إلا ظلاً وارفاً وتمراً ينتفع به الناس، وذلك حض على العمل للإنتاج المفيد، وهذا العمل المنتج المفيد لا بد أن يكون عملاً مستوفياً للجودة، وهذا يعني في سياقنا أن معايير جودة التدريس تدفعنا إلى جعل التدريس عملاً مثمراً لتعلم حقيقي وفعال.

(8) مبدأ العلم: يدفعنا الإسلام لطلب العلم والسعي لتحصيله والعمل به، إن العلم هو المعرفة المنسقة المنظمة المنضبطة التي تنشأ عن الملاحظة والدراسة والتجريب وهي معرفة تحكمها قوانين عامة، معنى هذا أن العمل أو الأمر الذي يقوم على النظام والانضباط وتحكمه قوانين عامة هو عمل يستوفي شروط الجودة، وما معايير الجودة في التدريس إلا قوانين عامة لها نسقتها ونظامها مستندة إلى خبرة ودراسة وتجريب، ومن هنا فالأخذ بالعلم أمر أصيل بهذا المنظور معاصر في أي حال من الأحوال.

(9) مبدأ الحكمة: وتعني العلم المتمكن بمجقائق الأشياء والعمل بمقتضاها، وهو معنى مشتق من مفهوم العلم، فمن تصف معرفته وعمله بالنسق والنظام والضبط يتصف بالحكمة، ومن يتصف بالحكمة يتصف بالجودة يقول سبحانه وتعالى: "يؤتي الحكمة من يشاء، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً" (البقرة 269). والحكمة بهذا المعنى

تعني صحة القول والعمل ودقته وصدقه وسلامته وهي كلها من صفات الجودة، وما معايير جودة طرق التدريس

إلا رؤى حكيمة تنسقه وتضبطه لكي ينتج خيراً كثيراً.

(10) مبدأ الوقت: فالوقت في الإسلام له قيمة كبرى وينبغي أن يشغل بما يعود على الفرد بالخير في الدنيا

والآخرة، وما يعود بالخير يعتبر أمراً محموداً وجيداً يتصف بالجودة، يقول الرسول ﷺ: (إن تزول قدما عبد يوم

القيامة حتى يسأل عن أربع خصال: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما

أنفقه، وعن علمه ماذا عمل به" وكلها معان تشير إلى الجودة، فلا بد أن يقضي الإنسان عمره في العمل الجاد سواء

أكان صغيراً أم كبيراً، وأن يكتسب ما له بحق مقابل عمل مخلص وإلا كان المال حراماً، والإخلاص في العمل جودة،

وأن ينفق المال في وجهته الصحيحة بما يعود بالخير . . . كلها دلالات تؤكد معني الجودة والإجادة أي أن إدارة الوقت

وحسن استغلاله، وإدارة المال وحسن استغلاله وإدارة العلم وحسن استغلاله من أهم روافد الجودة، ولعل حسن

استغلال وقت التدريس معيار من معايير جودته.

(11) مبدأ القدوة: فالفرد المسلم مطالب دائماً بأن يبحث عن القدوة الصالحة، وما تتوافر القدوة الصالحة إلا

فيما يتصف الجودة ويحقق معايير تجعله متميزاً وخيراً ومستوفياً لشروط الإجادة والتميز، ولذا فمفهوم الجودة لا

يتحقق إلا إذا أخذ في الاعتبار مفهوم القدوة، يقول سبحانه وتعالى: "لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن

كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً" (الأحزاب 21) ولقد علم الرسول الصحابة والتابعين عن طريق

التدريس بالقدوة أي أن القدوة كانت طريقة تدريس الرسول ﷺ، وهل أجود وأكثر معياريه من طريقه رسول الله

ﷺ في تعليم المسلمين.

(12) مبدأ التعاون فالمسلم مطالب بالتعاون على الخير "وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم

والعدوان" (المائدة 2) وبالتعاون يمكن أن تتم كثير من الأعمال النافعة للأفراد والمجتمع، وبالتعاون يصير الأداء أكثر

جودة وأكثر فاعلية، ومن ثم فالتعاون دعامة مهمة من دعائم الجودة، ولا أدل على هذا المعنى الأصيل من أفكار

التدريس المعاصرة من مثل (التدريس التعاوني) و (التدريس بالفريق) و (التعليم بالأقران) .

(13) مبدأ المسؤولية فالمسلم مسؤول مسؤولية كاملة عن جميع أعماله وأقواله، يقول تعالى في محكم كتابه: "إن

السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً" (الإسراء 36) "أبحسب الإنسان أن يترك سدى" (القيامة

36) ويقول الرسول ﷺ: "إن الله سائل كل راع عما استرعاه، حفظه أم ضيع".

ولعل التمسك بالمسؤولية في العمل يؤدي إلى الجودة، ومحاسبة المسئول عما يفعل أمر ضروري لتحقيق الجودة، من هنا

تبرز معايير جودة التدريس حتى يصبح تحقيقها مسؤولية المعلم.

وأما طريقة الدراسة بالنسبة للمتعلم فهي تعني سلوكياً "مجموعة النشاطات والمهارات المتشابهة والمتماثلة التي

يستخدم فيها المتعلم مجموعة من المبادئ والإستراتيجيات والخطوات والإجراءات النفسانية والتربوية والعملية .

قصد ووعي في نشاطاته الدراسي بتشكيل منهجي منظم لتحقيق هدف التعلم وبالتالي التحصيل العلمي". أي

أن طريقة الدراسة هي منهج واستراتيجية فردية يستخدمها الطالب عن قصد وتخطيط مسبق؛ التي يعتقد أنها

تحقق له هدف التعلم والتحصيل، فيتعلمها ويكتسبها كغيرها من المخرجات السلوكية، بل قد يبتكر طريقته

الخاصة للدراسة.

الفصل الخامس:

خاتمة وتوصيات

إن جودة التعليم من أهم الوسائل لحفظ المقاصد الشرعية لذا فإن العناية بما يحققها في مؤسساتنا التعليمية وأبرز ضمانات تحقيق الجودة التي اختلفت بها المنهج الإسلامي وهو الإحسان هو القيام بأمر ما على نحو أفضل من المفروض وهو جوهر الدين وروحه وبدونه لا تؤدي العبادات مقاصدها في تزكية النفس وتربيتها . وفي الحديث الشريف ما يؤكد وجوب استحضار رقابة الله سبحانه وتعالى في السر والعلن في جميع الأوقات ، لقوله

صلى الله عليه وآله وسلم (اتق الله حيثما كنت ، واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن) فكان

ذلك الإحسان والشعور المتقد الذي جسده الخليفة الراشد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - في توجيهه لرعيته

" حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم " فمن خلال التوجيهات الربانية في

محكم التنزيل ومن خلال أقوال وأفعال المصطفى عليه وآله أفضل الصلاة والتسليم وصحابته رضي الله عنهم

أجمعين ، نجد حث واضح وصريح على التأكيد على تجويد وإتقان العمل المناط بالإنسان ، ومحاسبته على ما

يقوم به من أعمال ، وبالتالي نستخلص نتيجة مؤداها أن الإحسان والإتقان والإجادة والجودة بالمفهوم المعاصر

مبادئ رئيسة من مبادئ ديننا الإسلامي الحنيف .

وعلى الرغم من أن مفهوم الجودة أو الإحسان أو الإتقان في ديننا الحنيف يتفق مع مفهوم الجودة في الغرب في تحقيق

رضا وتوقعات المستفيد ، إلا أنه يتخطاه في عنصر مراقبة الخالق عز وجل " فإن لم تكن تراها فإنه يراك " وهو ما

يضي على العمل المزيد من الإجادة والإحسان من خلال الرقابة الذاتية،

لقوله صلى الله عليه وآله وسلم (إن الله كتب الإحسان على كل شيء) بما يفيد عموم الإحسان لكافة مجالات

الحياة ، إذ أنه أي الإحسان أعم وأدق وأشمل وأعلى من مفهوم الجودة الذي يُعد مفهوماً متحرکاً .

لذا فالجودة أو الإحسان بالمفهوم الإسلامي هو ما تتطلع إليه أن يكون فعالاً ومؤثراً في كافة أعمالنا وسينعكس -

بمشيئة الله - إيجابياً على مدخلات وعمليات ومخرجات تلك الأعمال ، مما يبرزها على أنها أعمال متقنة ومنظمة

تعكس صورة الإسلام الصحيحة في زمن يتعرض فيه ديننا الحنيف إلى هجمات شرسة تهمه بالعشوائية والتخبط

ولكن كيف يمكننا تحقيق الإحسان في كافة أعمالنا ؟ والإجابة عليه تكمن في القدوة الحسنة التي تملك مفاتيح

التغيير في أسلوب التفكير في طريقه أداء العمل وتحويل الأقوال إلى أفعال .

إن الجودة الشاملة تحتاج في تطبيقها إلى القيادة الواعية، والسياسات والاستراتيجيات التي ينبغي أتباعها لتطبيق نظام

الجودة الشاملة في كافة المؤسسات ولاسيما التربوية ، يجب أن تدعم بخطط وأهداف وطرق عمل .

ولا بد من يترافق ذلك مع تطوير مهام مديري المدارس وإطلاق المعارف والقدرات الكامنة عند العاملين بمختلف

مستوياتهم الوظيفية على المستوى الفردي والجماعي ، معتمدين على المستوى العام للمدرسة والخطط والأنشطة

لتوفير الدعم لسياساتها وكفاءة الأداء وآليات العمل . كما يتطلب ذلك تحديد شكل العلاقة بين الشركاء الخارجيين

والداخليين في المنظمة التعليمية ، أو المؤسسة التعليمية، وذلك بتحديد كيفية قيام المدرسة أو المؤسسة بالتخطيط

وإدارة العلاقات مع الشركاء الخارجيين ، في سبيل دعم السياسات والإستراتيجيات وفاعلية الأداء والعمل ، ثم

كيف تقوم المدرسة أو المؤسسة بتصميم وإدارة وتطوير عملياتها في سبيل دعم السياسات والإجراءات ، ومن ثم إرضاء المستفيدين ، وزيادة المكاسب لكل المساهمين في العملية التعليمية. إن التأكيد على أن الجودة وإتقان العمل وحسن إدارته مبدأ إسلامي بنصوص الكتاب والسنة، والأخذ به واجب ديني ، وأنه من سمات العصر الذي نعيشه وهو مطلب وظيفي يجب أن يحتضن جميع جوانب العملية التعليمية والتربوية. وذلك بتطوير أداء جميع العاملين عن طريق تنمية روح العمل التعاوني الجماعي وتنمية مهارات العمل الجماعي بهدف الاستفادة من كافة الطاقات وكافة العاملين بالمؤسسة التربوية .

متطلبات إدارة الجودة الشاملة

1- التعرف على احتياجات المستفيدين والسعي لتحقيقها

2- التأكيد على أن التحسين والتطوير عملية مستمرة.

3- حدوث تغيير في جودة الأداء .

4. تطوير أساليب العمل .

5. الرفع من مهارات العاملين وقدراتهم.

6. تحسين بيئة العمل.

7. الحرص على بناء وتعزيز العلاقات الإنسانية.

8. تقوية الولاء للعمل والمؤسسة والمنشأة.

9. تقليل إجراءات العمل الروتينية واختصارها من حيث الوقت والتكلفة.

10- اتخاذ القرار بناءً على الحقائق، والتركيز على العمليات.

11. قياس الأداء للجودة.

12- تبني أنماط قيادية ذات وعي شرعي

13. مشاركة جميع العاملين في الجهود المبذولة لتحسين مستوى الأداء.

14. تأسيس نظام معلومات دقيق لإدارة الجودة الشاملة.

15- اتخاذ كافة الإجراءات الوقائية لتلافي الأخطاء قبل وقوعها ورفع درجة الثقة في العاملين وفي مستوى الجودة

التي حققتها المؤسسة داخل النظام والعمل على تحسينها بصفة مستمرة لتكون دائماً في موقعها الحقيقي.

16- الوقوف على المشكلات التربوية والتعليمية في الميدان، ودراسة هذه المشكلات وتحليلها بالأساليب والطرق

العلمية المعروفة واقتراح الحلول المناسبة لها ومتابعة تنفيذها في المدارس التي تطبق نظام الجودة مع تعزيز الإيجابيات

والعمل على تلافي السلبيات.

17- التواصل التربوي مع الجهات الحكومية والأهلية التي تطبق نظام الجودة، والتعاون مع الدوائر والشركات

والمؤسسات التي تعنى بالنظام لتحديث برامج الجودة وتطويرها بما يتفق مع النظام التربوي والتعليمي العام.

أسأل الله أن يعيننا على العمل لتحقيق قمة الجودة وفق منهج رب العالمين لنساهم في حفظ مقاصد الشريعة ولنكن

بمحق خير أمة أخرجت للناس وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم ، تنزيل العزيز الرحيم .

- 1 - إبراهيم ، مفيدة (1997) : القيادة التربوية في الإسلام ، دار مجدلاوي ، عمان .
- 2 - ابن حنبل ، أحمد (ب.ت) : سند الإمام أحمد ، المكتب الإسلامي ، بيروت .
- 3 - ابن جماعة ، بدر الدين (1933) : تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم ، دار الكتب العلمية بيروت .
- 4 - ابن خلدون ، عبد الرحمن (ب.ت) : المقدمة ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة .
- 5 - ابن ماجة ، الحافظ أبي عبد الله (ب.ت) : سنن ابن ماجة ، تحقيق (محمد عبد الباقي) ، مطبعة دار إحياء الكتب العربية ، بيروت .
- 6 - أبو داود ، الإمام الحافظ الأشعث الأزدي (ب.ت) : سنن أبي داود ، مراجعة وضبط (محمد محيي الدين عبد الحميد) ، دار الفكر .
- 7 - الألباني ، محمد ناصر الدين (ب.ت) : الكتاب الجامع الصغير وزيادته ، المكتب الإسلامي ، عمان .

8 - الأنسي، عبد الله وزميله (1989): مشاهير الفكر التربوي عبر التاريخ، مكتبة إحياء التراث الإسلامي

9 - البخاري، محمد بن إسماعيل (1987): كتاب الجامع الصغير المختصر، تحقيق (مصطفى البغا)، دار

ابن كثير، بيروت .

10 -البقري، أحمد ماهر (1980): العمل في الإسلام، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية.

11 -البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين (1989): شعب الإيمان، دار الكتب العلمية، بيروت .

12 -الجوزية، ابن القيم (2003): مدارج السالكين، هذبه (عبد المنعم العربي)، دار التوزيع والنشر

الإسلامية، القاهرة .

13 -الشيبياني، عمر محمد التومي (1985): الفكر التربوي بين النظرية والتطبيق، المنشأة العامة للنشر

والتوزيع والإعلان، طرابلس .

14 -الطبراني، سلمان بن أحمد أيوب أبو القاسم (1983): المعجم الكبير، تحقيق (حمدي السلفي)،

مكتبة العلوم والحكم، الموصل .

15 -الكيلاني، ماجد عرسان: أهداف التربية الإسلامية، مكتبة التراث، المدينة المنورة .

16 -الماوردي، علي بن محمود (1973): أدب الدين والدنيا، تحقيق (مصطفى السقا)، مكتبة الحلبي،

القاهرة.

17 -النجار ، زغلول راغب (1981) : أزمة التعليم المعاصر وحلولها الإسلامية ، الدار العالمية للكتاب

الإسلامي ، الرياض .

18 -النوي ، أبو زكريا يحيى بن شرف (1968) : شرح النووي على صحيح مسلم ، دار إحياء التراث

العربي ، بيروت .

19 -دخل الله، أيوب (1996) : التربية الإسلامية عند الإمام الغزالي، بيروت : المكتبة العصرية.

20 -رجب ، مصطفى (1999) : مع تراثنا العربي ، شخصيات ونصوص ، مكتبة كوميت ، القاهرة .

21 -ريان ، فكري حسن (1984) : التدريس - أهدافه أسسه أساليبه تقويم نتائجه وتطبيقاته ، عالم

الكتب ، القاهرة .

22 -صالح ، معين (1989) : " الفكر التربوي عند الشوكاني " ، رسالة ماجستير ، كلية التربية ، جامعة أ.

القرى .

- 23 - طعيمة ، رشدي وآخرون (2006) : الجودة الشاملة ، دار النهضة العربية ، القاهرة .
- 24 - عبيدات، زاهر الدين (2001): القيادة والإدارة التربوية في الإسلام، دار البيارق، عمان .
- 25 - علي ، سعيد إسماعيل (1992) : " أهداف المدارس الإسلامية " مجلة المسلم المعاصر ، تصدر عن مؤسسة المسلم المعاصر والمعهد العالمي للفكر الإسلامي ، العدد (63) .
- 26 - علي ، سعيد إسماعيل (1999) : نظرات في التربية الإسلامية ، مكتبة وهبة ، القاهرة .
- 27 - مدكور، علي أحمد (1990): منهج التربية في التصور الإسلامي، النهضة العربية، بيروت .
- 28 - مرسي، محمد منير (1992) : فلسفة التربية، اتجاهاتها ومدارسها، القاهرة: عالم الكتب. مسلم ،
- الحجاج أبو الحسن (ب.ت) : صحيح مسلم ، تحقيق (محمد فؤاد عبد الباقي) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
- 29 - ناصر ، إبراهيم (1989) : أسس التربية ، دار عمار ، عمان .
- 30 - نشوان، يعقوب (1991) : المنهج التربوي من منظور إسلامي، عمان : دار الفرقان للطباعة والنشر والتوزيع .

31 -الجن، مقدار (1999): أساليب التوجيه والإرشاد في التربية الإسلامية، دار عالم الكتب، الرياض.

32 -الجن ، مقدار (1996) : الأخلاقيات الإسلامية الفعالة للمعلم والمتعلم ، وآثارها على النجاح والتقدم

العلمي ، دار عالم الكتب ، الرياض .

33 -أتكسون، فيليب (1996). إدارة الجودة الشاملة: الأساس الصحيح لإدارة الجودة الشاملة،

ترجمة عبدالفتاح النعماني، القاهرة: مركز الخبرات المهنية للإدارة.

34- بن سعيد، خالد بن سعد عبدالعزيز (1997). إدارة الجودة الشاملة تطبيقات على القطاع الصحي،

الرياض: العبيكان للطباعة والنشر

الخلاصة

إن الجودة الشاملة أضحت في هذا العصر مطلباً تنافس للحصول عليه المؤسسات والشركات بشتى أنواعها ومجالاتها .

وكان من ضمن ذلك جودة المؤسسات التعليمية . التي اتخذت أساليب متعددة تتأرجح بين المظهرية والتطبيقات المادية وافقدت في كثير من الأحيان روح التعليم وأهدافه وغايته .

إن جودة التعليم في الحقيقة أمر ليس بالجديد بالنسبة للأمة المسلمة بل هو مطلب شرعي وضرورة هامة من ضروريات الحياة . لذا كانت مفاهيم الجودة العامة أصلية في مجال التعليم وتطبيقاتها منذ نشأ الإسلام وعلى امتداد عصور حضارته . شاهدة لهذه الأمة بأن جودة التعليم جزء لا يتجزأ من كيانها وهي منهج رباني دلائله من الكتاب والسنة كثيرة . . وتفصيله من حياة علماء الأمة ومسيرة التعليم خلال تاريخها واضحة بينة .

استعرضت في بحثي مفهوم الجودة الشاملة . وبيان أهميتها في مجال التعليم وما يستلزم لتطوير ثقافتها والتحقق من توفر مستلزماتها , وملامح التنظيم الناجح لإدارة الجودة الشاملة ونتائج تطبيقه وشمولة جميع

وظائف التعليم وأنشطة وأهم السبل العملية لتحقيق جودة التعليم واستخدام المعايير لقياسها وضبطها .

ولما كان كما قدمت أمر الجودة في التعليم أصلا أصيلا ومطلبا شرعيا بالنسبة لحضارة الأسلام بينت انطلاق هذا المبدأ من كمال هذا الدين وإبداع رب العالمين الذي جل جلاله . أوجب على عباده شكر الله على إبداعه بالأحسان في العمل والأتقان في أدائه . وبينت بعد ذلك من منظومة الفكر الاسلامي في جودة التعلم وصلتها وآثاره ودقة معايير في كل ما يتعلق بالتعلم .

كما أكدت على المفهوم العظيم الذي رسخه الأسلام في نفوس أهله ألا وهو . أن التعليم وسيلة للتربية وليس هدفا في ذاته . موضحة علاقة الجودة بالمفهوم التربوية وعناصرها ودورها في بناء الانسان في إطار من التوازن والشمول يؤهله للقيام بدوره الا ستخلفي في هذه الارض وعمارتها ثم استعرضت معالم جودة التعليم في ضوء الأسلام بما ذلك أهمية طلب العلم , والموازنة بين احتياجات المتعلم , ثم الاستمرار والتجديد . وانتقلت بعد ذلك إلى محاور جودة التعليم في الأسلام . فتحدثت عن (الأهداف – المحتوى – طرق التدريس)

وختمت بحثي بالتأكيد على أن جودة التعليم أهم الوسائل لحفظ مقاصد الشريعة وأنه من الضروريات وهو وإن اتفق مع المفاهيم الجودة في الغرب إلا أنه يتخطاه في عنصر هام يحقق له التجدد والاستمرار وهو مراقبة الله عزوجل .

وبينت حاجة مجتمعاتنا التربوية ومؤسساتنا التعليمية إلى دعم الجودة بخطط وكفاءة في الأداء وتطويره لدى جميع العاملين والعاملات في هذا المجال وأوجزت متطلبات لادارة الجودة الشاملة في التعليم ختمت بها بحثي فنحن أصحاب السبق في هذا المجال والله الحمد والمنة لكن بحاجة إلى شحذ الهمة لنعود إلى القمة .